الكلمات الأخيرة

عيسى الرومي

الأعمال الكاملة -١- الكلمات الأخيرة / شعر

عيسى الرومي

الطبعة الأولى , ٢٠٠٨

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة , ١ش المعهد الديني , المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٩٧٥٨

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٠٣-٦

الأعمال الكاملة

١

الكلمات الأخيرة

شعر

عيسى الرومي

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



الأزرق

١٩٩٠-١٩٨٧



يا حب

يا حبّ : قد نطق اللسانُ
وغنت العينانِ
يكتشف الحقيقةَ عاشقانِ
وأنا وأنتِ حبيبتي
سنكون ينبوع المسافرْ

*

فإذا اكتشفتِ حبيبتي
أني لحونٌ تملأ الأحجارَ معناها
وتختصر الطريقَ إلى البدايةِ والأغاني
فارفعي سرجَ الحصان ،
وودعيني
قبّليني

زوديني بالرؤى
إني أنا الآن المسافرْ

*

يا حبّ : تتسع الخطى
والورد يسقط من عظامي كالورقْ
يا حبّ : تنفرج الأيادي
والمرايا تحترقْ
يا حبّ : تنفجر الوصايا
والعصافير الصغيرةُ تنطلقْ

*

فإذا تركتُ حبيبتي
زندي إليك هديةً
ومضيتُ في سفرٍ طويلٍ
فافرحي بهديتي
فهي الغصون ، وأنت أمطار الفلقْ

يا حبّ :
كم بحرٍ سأقطع في السطورِ ، وكم قمرْ
سيظل يحرس نفسه من نفسه
يا حبّ :
كم حلماً سأحمل كي أصلْ ؟
*

فإذا اكتشفت حبيبتي
أني لحونٌ تحمل الآن المراكبْ
فتزودي من صرختي
ما شئتِ من طربٍ
ومن غضبٍ
لتتحد المساربْ

وتوسديني
كنت طفلاً أو قدرْ
سأراك تتحدين ، تشتعلينَ

تنفجرين في قلبي الصغيرْ
وأراك مرفئي الأخيرْ

وحبي دائماً كالشارع الملآنْ
وقلبي دائما كالجسر والشطآنْ
فمن يدخلْ إلى حبي
ومن يدخلْ إلى قلبي
يجدْ إنسانْ
وأغنيةً مكللةً بشمس الله والإيمانْ

*

ويا حباً حملناه
لماذا أحتسي القهوةْ
صباحاً دونما نشوةْ ؟
لماذا لا أرى وجهي على المطرِ ؟

لماذا أركب الفرس الحرونَ ، وقهوتي
شعري ، وناي الحب في السفرِ ؟
*

ويا حباً يجمعني
أراك كما تكونُ
أراك ذاكرةَ الغصون ،
أراك في ليل السجونِ ، فلا أهونُ
أراك في دمع الصغارِ
أراك في فرح الثرى
وأراك في خبزي ، وصوت العندليبِ
أراك باب الياسمين ، فلا أهونْ
*

ويا حباً يكملني
ويا حباً هو الأزرقْ
أريد لديك أن أبكي

وأن أحكي

وأن أغرقْ

أريد البحر والمطلقْ

*

ويا حباً ....

سأذكر كلّ أشيائي

سأترك كلّ أشيائي

فماذا أنت يا حبُّ

أسفحٌ أنت أم جبلُ ؟

حريقٌ أنت أم قبلُ ؟

لماذا أنت في قلبي

وتوصلني إلى غيري ولا تصلُ ؟

ستبقى الأزرق الأزرقْ

ستبقى الريح والمطلقْ



لا تبعني

صناديقُ موتٍ طريقي
تراود ما ينبت القلبُ
من شجرٍ في الأعالي

*

وكنت كما الأرض بعد الحراثةِ
أحبو على ركبي
وأبي
باعني
واستراح من الولد الزائدِ

*

يا أبي ، لا تبعني
ودعني أنظفْ حديقةَ بيتكَ

دعني أجملْ عيونكَ
دعني ألمغْ حذاءكَ
دعني

*

تمهلْ. تحملْ . تأملْ
أنا وارث المجد بعدكْ

تذكرتُ أمي !
أتذكر أمي ؟ فقد ولدتني صبيا ؟
و لم تخشَ عاراً عليّا
أما قلتَ يوماً :
أنا وارث المجد بعدكْ ؟
ألم تفتديني بألف بعيرْ ؟

*

أبي ، يا أبي :
لا تبعني بسيف صدئْ
وأعدْ لي سفيني



قهوة على الطريق

ولأن حبي واضحٌ كحقيقتي
أمتد بين الجسر والصحراءِ
تذكرةً لموتٍ لا يموتْ

*

ولأن ذاكرتي تخونْ
أتقنتُ هندسةَ الحنينْ
والعزفَ في زمن الجنونْ

*

ولأن أغنيتي تبوح بنبضها
مازلت ألثم كفها
وأزيل عن وجهي غبارَ الأسئلةْ :

من يسكنون الآن قلبي
يسرقون الوردَ حِكْمَتَهُ
ويحشون المدافعَ بالنشيجْ

إلى الشعر

جميلٌ أنت يا سيدْ
كدمعة طفلةٍ حرّى
جميلٌ أنت كالمعبدْ
كثوب أبي ، وجِلْسته وبسمته
جميلٌ أنت كالذكرى

*

جميلٌ أنت إذْ تمشي على الشارعْ
وتبصر أمةً تعرى
فترسل لحنك الرائعْ
ليملأ موتنا بشرى

*

جميلٌ صوتك الآتي
من الإعصار والنارِ
جميلٌ وجهك العاري
إذا غطى جراحاتي ومأساتي
جميلٌ قلبك الخافي
إذا ما خفّ للجارِ

*

جميلٌ أنت يا سيدْ
سأمدح صمتك العالي
وأشري ثوبك الغالي
لأنك في الدجى فلقي
لأنك دمعتي
وحصان تذكاري

نـشـيد

ومن غزةْ
إلى بيسانْ
نرى العزةْ
تقول الآنْ :
سلاماً أيها الوطنُ
ولو قُطعت أيادينا وأرجلنا
نسير إليك لا تعبٌ ، ولا وهنُ
إلى الكرملْ
إلى المجدلْ
فتتبع موجَنا السفنُ
ويتبع خطوَنا الزمنُ

ومن غزةْ
إلى بيسانْ
نرى العزةْ
تقول الآنْ :
ملكنا الأرضَ من جدٍ لجدٍّ
ملكنا البحر من جزرٍ ومدٍّ
فيا عصفورةَ الذكرى أعدّي
لـــنـــا أيـــامـــنـــا أيـــام مجدِ
وخلي الظلم رحالاً شريداً
يروم الموتَ من حجرٍ وزندِ
ونحن النخل إذ ينمو سريعا
وننجب فوق تربتنا التحدي
*
ومن غزةْ
إلى بيسانْ

نرى العزةْ
تقول الآنْ :
سنحمي الأرض والأمةْ
وإن متنا
نمتْ كي نشعل الظلمةْ
ويعلو فوقها الإنسانْ



نابلسُ تكتب: الوطن

"إلى عبد الكريم بريك "

نابلس ، يا كريمُ ، ترتدي ثيابها
وتسحب الزمنْ
إلى ترابها
وتكتب : الوطنْ
على هضابها

*

نابلس شمعدانُ يومنا
وعنفوانُ صخرنا
وعظمُ لحمنا
وتشعل النهارَ في دمائنا

*

نابلسُ يا كريمْ
تقدم القربان كل يومْ
وتركب الحصانَ دون سرجْ
وتبصر القادمَ دون برجْ
لا تعرف الندمْ
تمتد خارطةْ
فوق الأغاني الساقطةْ
والذكريات الساقطةْ

*

ولا تريد أن نموتْ
ولا تريد أن يدوسنا القطارْ
وحين نبكي تمسح الدموعْ
وحين نبتغي الرجوعْ
إلى نفوسنا ، إلى زيتونها
جسرَ مرورٍ تجعل الضلوعْ

نابلس يا كريمْ
محاصرةْ
فمن يقدم المناصرةْ ؟

*

تصعد من أهدابنا
ومن لحومنا ، ومن دمائنا
تعانق الجليلَ والخليلَ والمستقبلا
وتكتب : الوطنْ
على هضابها ، على جباهنا

الإعتقال

كانت الليلةُ ريحاً ورعودْ
والليالي في بلادي ماطرةْ
وقع أقدامٍ على زهر الحديقةْ
يتدلى من سقوفٍ نافرةْ

*

كسروا البابَ ، وقالوا :
أين أحمدْ ؟
أين من أشعل في الأمس الحرائقْ ؟

*

أخذوني
وأخي يبكي عليّا
قلت للجندي مهلا :

قبلتي ليست دويّا
يا أخي :
لست أنا وحدي النبيّا

*

وضعوني وسط غيهبْ
والزنازينُ حرابْ
قلت للسجانِ :
إني أبصر الآن براكينَ وكوكبْ
تجعل السجنَ خرابْ

*

عندما جاء الصباحْ
صلبوني فوق أعواد اللهبْ
قال قلبي للرياحْ :
رغم موتي
سيظل الرأسُ
مرفوعَ الجبينْ

زيـاد

يعيد ليَ الملح والليلُ وجهكْ
غاضباً كالقدرْ
قاسياً كالحجرْ
عادلاً كعمرْ

*

وهأنا أنفض عنه الرمادْ
وأنت صغيرٌ
وزندك أسمرُ
تحيا معي...
إلى غابةِ السروِ ملتَ
ونمتَ
هناك عرفت النشيدَ الأخيرَ

و لم تكتبِ الكلمات الأخيرةَ
نمتَ
تحررتَ مني
ومن نجمةٍ كسرتني
ورحتَ تواصل حلمكَ
زندك أسمرُ
وجهك زعترْ
للسماء النجومُ
وللبحر موجٌ
ولا شيء يرجع وجهك لي

*

وتجيءْ
كماء السواقي وضيءْ
كخوف الصغار بريءْ
فما أجمل الوجهَ !

لولا بقيةُ حزنٍ
سألتكَ :
هل يعرف النوم أنك إبني
ليحزن عني ؟
سألتك : عدْ ولداً من جديدْ
لنسرق داليةَ الجارِ
نضحكَ حتى البكاء
ونمسك شبراً من الحلم المستحيلْ

*

زيادُ : تكلمْ
لأعرف أين أنا
ومدَّ من الموت حبلاً
لأخرج من عزلتي للسنا
وحدثْ قليلاً عن الرحلةِ القادمةْ
لتتضحَ الصورةُ المعتمةْ

زيادُ : تكلمْ . تكلمْ
فما زال قلبي يراود قلبي
وينتظر المحكمةْ

*

زيادُ :
رحلتَ . تحررتَ مني
ونمت طليقاً
على نغمات الشجرْ
وما زلت تحيا معي
وأنا سأواصل هذا السفرْ

مع بوشكين

العالم طينٌ يا بوشكينْ
نبحث عن شمسٍ . لا نجدُ
نبحث عن خِلٍّ يحمل عنا
بعض الآثامْ
عن بلدٍ يسندنا
عن سرجٍ حصانْ
لكن يطمرنا الزبدُ

*

ونحس العمرَ قصيرْ
والدربَ طويلْ
وجراحاً تورق فينا

وتغني أغنيةً لم تكتبْ ، بعدُ
نحس نبياً يقتلُ
يترك باباً مفتوحاً ومصابيحْ
تأخذنا في درب الريحْ

*

العالم طينْ
والليلة جئتَ إليّ
صحوتَ ، مشيت ، ذُهلت ، بكيتَ
هربت من الموتِ ، وجئت إليّ
مكسوراً كالنخلِ ،
مضيئاً كالليل ،
وممتلئاً بالكلمات و لم تنطقْ
لم همسْ ، لم تتحركْ
لم تنعسْ ، لم تتفككْ
لم تكتبْ شعراً

فالعالم طينْ
ويريد منارةْ
ويريد حرارةْ

*

ما بك بوشكينْ ؟
أتُراك تخاف السكينْ ؟
لا تصمتْ
الشارع صامتْ
والمدفع ينبحْ
والأرض مواتٌ
لا تصمتْ
فالبيت الصامت يملكه الشيطانْ

*

قلتَ نبيك منسيٌّ
وشتاؤك منفيٌّ

معذرةً !
طير الفينيق دمٌ يمشي في النورْ
والشاعر ثائرْ
والشعر نبيٌّ ، وعصاه طريقْ
ويعرش فوق بنادقهم
ويعانق أحذيةَ الأطفالْ

*

بوشكينْ
لن أبكيكَ
ولن يبكيك الولد الطالعُ
إذْ يقرأ وجهكَ :
زنديقٌ أنت ، وأنت الصعلوكْ
والعاشقُ والمارقُ والراحل والقادمُ
أنتْ

*

الليلة جئت إليّ
والعالم طينْ
وتركتَ حذاءك بين يديّ



ونَنام ، تنام الروحْ
ويثور الدمْ
سكيناً تعوي . تقطع حبل النومْ
وأقوم من الحلمْ
أتحسس أعضائي

*

أسليمانُ ، تعذبني نبضات القلبْ
فتشتُ عن الشعر ، وعنكَ ،
وأنتَ القلبْ

*

وتعذبني مِسْكتك الدفترْ
إذْ تكتب ما لا تعرفْ
لكني لكلامك منصفْ
وأقولُ : حبيبي كلماتك خنجرْ

الملح

للملح طعمُ انكسار الرماحِ
نزول دم السادةِ الشرفاءِ
انقلاب السفنْ

*

وللملح عينٌ ترى
وترى ما اختفى
وتقرأ ما يُنـــزل الوردُ :
أيتها القبرةْ ،
لك القلب حين تطيرين أفقا
وحين تحطين غصنا
لك القلب يا أمنا قنطرةْ
ولمن يسلبون الندى مقبرةْ

وللملح مذهبْ
وصايا كليبْ
قرارُ اليمامةْ
وسيف المهلهلْ

*

على متنه أتمدد أغنيةً
والشتاء يعلمني حِكْمَتَهْ :
كل شيء ذهبْ
و لم يبق غير اللهبْ

ألـم القلـب

يظهر فجأةْ
يدخل دون استئذانْ
في بضع ثوانٍ
يسقطني مئذنةً مكسورةْ
يسرق مني أغنية العصفورةْ
يرسم شكل مماتي

*

ألم القلب يعذبني
والمخبر خلف البوابةِ
يكتب محضرْ
يدخل في أغنيتي
وينام على تختي

يصحو
يشرب قهوةَ صمتي

كفـر قاسـم

"كفرُ قاسم " زهرةٌ في القلبْ
" كفرُ قاسم " مشعلٌ للحبْ
والدرب نحو الربْ

*

يا " كفرَ قاسم " :
قد فقدنا الأندلسْ
ونعيش أيام التحدي
دون بغلٍ أو فرسْ
وبلا حرسْ

*

يا " كفرَ قاسم " :

من رآني ساهراً متعذباً في الليلْ
خلع الفؤاد ، ودقّ طبل الخيلْ

*

يا " كفر قاسم "
لا تنامي
فعلى المخدة ألف رعدٍ
ألف برقٍ في عظامي

*

يا " كفر قاسم " :
قال أمسُك للغدِ :
ينشق فجرك من يدي

بيـروت

بيروت يومٌ أبيض
بيروت يومٌ فاضحٌ
في سيرةِ الأعرابِ
يوم فاضحٌ للنفط في دول الجحيمْ

*

وحياة من يحيا
جدارٌ للكلام وللصدى
أم التكون والتحول ، والمشيئة ، والمدى
بيروت نخلٌ ضاع في أجسادنا
مطرٌ تساقط في الظلامِ
أعدّ روحاً طائراً يهدي الهدى



مسافر

مسافرٌ
تركتُ خلف جثتي المدينةْ
وجئتُ دون قبلةٍ
ودونما سفينةْ
ولن تطول وقفتي
هنا
على أبراجها الرهينةْ

لا أريد

حبيبتي :
لا تتركيني نازفاً جريحْ

أخطو إلى الأمام خطوةً
وأستريحْ
ولا أريد أنْ يكونَ
في عيون الشمس لي ضريحْ
أريد أن أكونَ
قرب نخلةٍ حبيبةْ
تهدي عيوني ظلّها والريحْ

وأد

المباني تطول وتعلو
وعمان نائمةٌ في البياضْ
وتقتل سكانها العاشقينْ
والمباني تطولُ
وإيمان توءد هذا الجنينْ

وجــه

هذا أنا وجهٌ طفوليٌّ حزينْ
وردٌ وطينْ
لا تزرعيني في الترابِ
بل ازرعيني في اليقينْ

الـخـيـول

تلك الخيولُ
أتذكرينَ صهيلها
يوم التقينا أول المشوارِ
يوم حملتُ أغنيتي
وقلبي واعترفتْ ؟

*

واليوم تقتلني الخيولُ
وأنا المراكب والرحيلُ
وأحس أني قاتلٌ
وأنا القتيلُ

رشـاقـةْ

ما أكثرَ الرشاقةْ !
في عصرنا
ما أكثر الرشاقةْ !
وحمرةَ الشفاه والخدودْ !
والشعرُ – راكباً –براقةْ
يقولُ :
كلها حماقةْ
وما لها بطاقةْ

خـوف

وكنتُ خائفاً
وكنتِ خائفةْ
من خوفنا ، غداً
حبيبتي تهب عاصفةْ

لـيـل

من ليلنا المسدلْ
تتولد الفكرةْ
والشعب لا يغفلْ
عن هذه الزمرةْ

تـعـب

تعب المغني من يديهْ
وبكى
فمن يبكي عليهْ ؟
*
تعب المغني من كلام العاشقينْ
ورمى الفؤادَ على الترابْ
ومشى سريعاً في السحابْ

فـتـاك

فتاك غفا
ورآك بغفوته الكرملا
تجيئينَ

تفتتحينَ المدى

وتستقبلينَ الغدا

فقال : لكِ المجدُ

والملح لي

تـوحـد

توحدتُ فيكِ -

يداكِ يديّ

وخطوكِ خطوي

وحلمكِ حلمي

ولا حبّ بعدك أزرق

والحبّ بعدي بياضْ

كـيـف

كيف دخلتِ إلى القلبِ
كيف ؟
- لكل خريفٍ
شتاءٌ وصيفْ

لـمـاذا

لماذا أنا خائفٌ
من حبيبٍ لقلبي دلفْ ؟
وصار ترابي
وصار السقفْ

البحر

البحر شيخٌ للزمانْ
يمتد عتمةً مضاءةْ
تحرك اللسانْ
وتعجز اللسانْ
في حيرةٍ ، وفي براءةْ

الحمار

تعود الحمار أن ينامْ
في غرفة مضاءة بالكهرباءْ
وبعد موت صاحبهْ
أصبح للإنسان قائداً وسيدا
وللنساء مطربا
وللحمير مرشدا

البريق

أحرجت نفسي البريقا
أيقظ الليل السحيقا
وأنا نهرُ دَمِ
في دروب القممِ

الشفق

قال لي وحي الشفقْ :
كل شيءٍ يحترقْ
غير روح ينطلقْ

غـنـاء

إنني حين أغني
لا أغني لقمرْ
ولقدٍ وجيدِ
إنما أبغي الشررْ

سأغني
إنني حين أغني لا أموتْ

ربما تعشق إنشادي فتاةْ
فأنا
أعشق ألحان الحياةْ

مزقينا

وانثرينا كالبذارْ

إننا نحن قرابين النهارْ

ميلاد

سنة العشرين وردٌ وقرنفلْ
فتحملْ يا صديقي ، وتحملْ
يبدأ التكوينُ
من لحنك ، والريح شراعْ

تقدمي

الموت واقفٌ أمامنا
تقدمي
الموت يخطو نحونا
تقدمي

سألتك

سألتكِ
حقاً نحب كما نشتهي أن نحبْ ؟
إذنْ
فلماذا يغيب اللهبْ ؟
وما الحب فينا ؟

تمرد

أريدكِ
كالنهار بواحتي
تتمردينَ
وتشعلين النارْ

هـوية اليونان

أنا المقتول والقاتلْ
أخذتُ هويةَ اليونان في السابقْ
ورحتُ أخط ألحاني
على الساحلْ
فدمر دفتري موجٌ
وأسندني
إلى بستانه الذابلْ

لـولاك

قلبي البحارُ
وأنتِ الريح إن نطقتْ

وحبنا
ما تقول العين للهُدُبِ

لولاكِ
لم أحيَ في الدنيا
على مهلٍ
ولم أحيْ
كمجيء العارض الخصبِ

قرأت عينيك في صمتي
وأغنيتي
ورحتُ أكتب أيامي
ولم أحبِ

وأحمل النخلَ
في جوانحي نغماً
يقول للريحِ :
هي من ذرى كتبِ

أذكريـني

أذكريني يا حبيبةْ
واذكري الموتَ الذي
يجعلني فيك رسولْ
للنهايات السعيدةْ

رأيتك

إني رأيتكِ
فوق الشمس واقفةً
عيناك حبي ،
وأيامي ، وأشرعتي
هاتي يديكِ
فما صار الهوى قمراً
إلا إذا
حملت كفاك عاصفتي
شدي يديكِ
على أوتار أغنيتي
فأنتِ
لحن أناشيدي ، وأمنيتي

جدار الصلاةْ

تمضين في عيونه
أيتها الصغيرةْ
وتأخذين من دمائه الحياةْ
ومن كلامه ضفيرةْ
ومن رحيله جداراً للصلاةْ

إجتماع

ويجتمع الحب والملح في مهجةٍ واحدةْ
هما التوءمانْ
هما القمرانْ
هما اللحظة الخالدةْ

وحين

وحين أراك يفرّ الكلامْ
وتنطق عني عيوني
وحين أروح إلى كتبي
تقفزين من الكلمات حمامْ
وحين أسافر نحو الجنوبِ
تكونين نافذةً لقطار الغرامْ
وما في الجنوبِ
وما في الغروبِ
وما في القلوب سواكِ

حلم

ويمضي الزمنْ
وعشرٌ تمرّ
وقد شاخ عظمي
وحولي صغيري يقول :
أبي
كيف أحببتَ أمي ؟
فأرمي عليه القبلْ
أضمكِ .
ثغركِ يهمس في أذنيّ :
أحبُّكْ

يـا مـن

يا منْ أحبُّ
ويا منْ ييست على إسمها
ومص دمي صمتها
ويقترب الآن صحويَ
من نومها :
خذيني إلى وطنٍ أو كفنْ
وكوني إلهي
وكوني الوثنْ

خـطـاب

سيداتي ، سادتي :
إنني لست خجولْ
سأقولْ
ليس منا من رماه العرشُ
في وسط الوحولْ

طار الندى

جاء الندى
من همسة ، شقّ الصدى
وكتبتُ أغنيةً لقلبي
للغيابِ
لعلني أمشي إلى عشي
وأترك ما تبقى في خيالي للندى
*

طار الندى
وأضعتُ آخر قبرةْ
وأضعتُ قبلتها بباب المجزرةْ
وقصيدتي ضاعت سُدى
وبقيت أطلب من رحيلي المغفرةْ
*

طار الندى

وهنا الصباح لفافةٌ

وفراشةٌ تخشى المُدى

وهنا أنا : أمشي ولا أجد الهدى

والقلب أصبح موقدا

*

طار الندى

لو أستطيع أعدته

لو أستطيع سرقته

لو أستطيع جعلته ناراً على قلبي غدا

قراءآت

أنا شاعر الكلماتِ
أسقطني الكلام ، وفجرتني الأغنياتْ
منذ النـــزوح عن الكهوف إلى الوصول إلى القمرْ
وأنا أفتش عن مطرْ
مطرٌ يفتش عن مطرْ
سألوا حذائي : عم تبحث في الغيومِ؟
- عن النجومِ
وعم تبحث في الصحاري ؟
- عن ندى وخميلةٍ
لأصوغ أغنية التراب ، وأنصرفْ
*

أنا واقفٌ فوق الترابِ
دمي ترابٌ
يبصر الأيامَ
يحملها إذا ابتعد القريبُ
يكلل الأشجارَ أجنحةَ النهارِ
ولا يريد سوى الوصول إلى التراب ،
ويعترفْ :
أني ترابٌ جمعته سنابلُ

*

وسألت نفسي عن حدودي
– أينما كانوا ، نكون ولا يكون لنا ظلالُ
وسألت يومي عن وجودي
– أينما نمشي يهشمنا السؤالُ
وسألت قيدي عن رفاقي
– سرقوا نبيذكَ يومها

شربوا ، وعلوا الأوسمةْ
شربوا ، وشدوا الأحزمةْ
لكنهم عند انفجار الريح ذابوا
والمطايا مسرجةْ

*

أنا شاعر الفرح الممزق كالغيومِ
وأستطيع اليوم أن أمشي
وأفتح في الخريف بدايةَ الأشياءِ
أبداً حينما تقف القوافلُ
أستطيع تذكر الماضي
كتابةَ ما نسيت على جدارٍ أزرقٍ
يعلو إذا سقط المقاتلُ
أستطيع القولَ :
أن الريح تحبل في التراب المرّ
منها يولد اليوم الجديد وأكتشفْ :
أني نبيٌّ كذبته قبائلُ

وأرى المدينةَ ، والشوارع ، والمزارع ، والمصانع
والمدارس ملحمةْ
وتمد أغنيتي جسوراً واضحةْ :-
عودوا إلى موتي وخبزي
خبزنا ومماتنا يعطي النهار الرائحةْ
وأرى عيون الأنبياء الفاضحةْ
في عصرنا
وقفت تردد سورةَ الرحمنِ ،
تقرأ كل يوم الفاتحةْ
وتمد أغنيتي جسوراً واضحةْ
*

والبحر يفتح بابه لدخولنا
والرمل يرسم أغنيةْ
والبر يشرب قهوة الصبح النديةْ
ويشم يوماً طازجاً
وروائح الخبز الشهيةْ
والحقل لا يتباخلُ

مطر بعيد

مطرٌ بعيدْ
يأتي إليّ مع النشيدْ
مطرٌ بعيدْ
سبق البروق جميعها
سبق الرعودْ
واستل مني غفلتي
وسقى الحقول بومضةٍ من جبهتي

*

يا أيها المطر الذي لا ينتهي :
إني صحوت من السبات لأبتدي
تسجيل ميلاد الشهيدْ

سيعود ثانيةً ،

ليمحق ظله الوردي أصواتِ العبيدْ

*

يا أيها المطر الذي لا ينتهي :

إنا نحبكَ

نشتهيك ، فعدْ

لنــــزرع نخلنا

ونموت في ظل النخيلْ

قولي لهم

يا مصرُ : أنت اليوم أغنيتي
أنا قد عشقت النيل والأهرامَ ،
منذ فتحتُ عينيّ اختمرت بخمرها
ورسمت أحلامي على شطآن بحركِ ،
سافرت شطآن بحركِ
من هيولاها لأوردتي

*

يا مصرُ : أشواقي تعذبني
وتقذفني لمجهولٍ ، فيغسلني ،
ويرسلني لمجهولٍ أتوه ببحره وبليله
لا تقذفي جسمي إلى ريحٍ
تكسر كل أجنحتي

*

يا مصر : قد سقط الحصان على الحصانْ

وحبيبتي نامت على صدري الذي جعلوه شباكاً

ونمت أنا على روحي التي صعدت

إلى تاريخ أجدادي

وقمتُ بحلمهم

ورأيتهم في قبضتي

رمحاً طعنت به الحدادا

*

أحبيبتي : نامي على صدري

على روحي

على تاريخ أجدادي

وقولي : ناركم صارت رمادا

قولي لهم : أممٌ كثيرةٌ كالغبار نعدها أمماً

وتبقى في حمائلها جرادا

تزداد أحقاداً ، وتزداد ابتعاداً

كلما ازداد الظلام سوادا
قولي لهم : في أمسنا
قلنا سنصحو في غدٍ
لكنهم أخذوا الحياةَ رقادا

*

قولي لهم — عن عصرنا :
بعنا العذارى والجيادا
قولي لهم :
هذي البلاد تقسمت
وحدودها زعمت تقسمها اتحادا

يا مصر :
قد أعلنت في المدن الصغيرة والكبيرة أن حبي
من سبات الشرق يطلع :
حربةً وضمادا

لو تلمسين القلب عند مسيره – من شوقه – احترقت

مياه النيل ،

وانفجرت ليزداد امتدادا

تلك الحكاية

عصفورةُ الذكرى
وموجٌ للحنينِ
رسائلُ الأسرى
لقاءُ العائدينَ من القبورِ
وصرخةٌ حرّى
تدق البابَ
تفتحه لمن يأتي ملاكاً كان أمْ بَشَراً
وُبشرى الورْدِ
عمانُ
اعْترافُ العاشقينَ بحبهم
وبموتهم عند الظهيرةْ

وتفتُّحُ الأزهارِ في خشب المنافي والغيابْ

*

كانتْ
وكنتُ أنا أصيحُ :
أنا الذبيحُ
أنا المليحُ
أنا القبيحُ
أنا الفصيحُ
أنا المسيحُ ، أيا أبي ، كي تفتديني
من ضياعي أو حنيني
كي تفتديني
من سكوني أو جنوني
ما زِلْتُ إبنكَ يا أبي
فأقرأْ ضياعي في عيوني
وارحمْ ظنوني

ما زلت إبنك يا أبي

وأبا حفيدكْ

*

تلك الوصيةُ لْم تصلْ

والإعترافُ سلاحُ أيامي

وأحلامي المثيرةْ

دَوّى

وشق الروحَ

والجسدُ انْفصلْ

وتساقطت في الكف أمطارٌ غزيرةْ

وزرعتُ بستاني وروداً منْ رؤى نفسي ،

قطفتُ سنابلي

وحلقْتُ ذقني

وارْتَدَيْتُ الْإعْترافَ بما يهيج به فؤادي

واعْترفتُ

أيا أبي ،
فالإعتراف سلاح أيامي
ومصباحي على هذي الجزيرةْ
*
ورأيتها للقلبِ زنبقةً وتفاحةْ
شمساً ونوراً يملأُ الساحةْ
ورأيتُ أزهارَ الطفولةِ تزدهي
وطريقَ مدرستي الطويلْ
ورأيْـــتُـــني طفلاً تُمشّيه الحقولْ
ورأيتها خبزي وصوتي
وندىً يمر على جبيني
*
قلت : المدينةُ نائمةْ
والناسُ ينتحبون تحت سمائها
قلت : المدينةُ ظالمةْ

لا شيء يحمينا سوى روحين يتحدانْ
قلت : المدينةُ غائمةْ
والناس لا يجدون غير حكايتي
لا شيء يحمينا ويحميني
سوى روحين يتحدانِ في كل الفصولْ

*

تلك الحكايةُ ، يا أبي ،
أتُــرى عصيتــُكَ يا حكيمْ ؟
أترى رميتك في الجحيم أم النعيمْ ؟!
أترى نسيتك أم حملتك في دمي ؟
أترى صدقتك أم كذبتكْ ؟
أترى لعنتك أم عبدتكْ؟
لا لست أدري !
غير أني
ما زلت أنتظر البريدْ

والكونُ يغمره الجليدْ

*

ردت ، وقالت : إنتظرْ
وقرأت في العينين وعدَ البحرِ
تاريخَ الشعوبِ
رأيتُ تموزاً يعود إلى الحياةِ
مُدَلَّها عشْقاً
ويقتله القمرْ
ونظرت ساعاتٍ وأياماً
ونمت على حجرْ
وحبيبتي إيمان نائمةٌ
جميلٌ طقسها العفوي
جميلٌ صوتها النبوي
جميلٌ شعرها الغجري
جميلٌ صمتها الأبدي

والصمتُ قد قطع الوترْ
وحبيبتي إيمان نائمةٌ ، وتهزأ بالقدرْ
وأنا أمرّ على صحونِ المائدةْ
لا أشتهي غيَر السلامِ مع الكلامْ
لا
أشتهي غير الكلامْ
ودمي ينــزّ
وديكُ جارتنا يَــهزُّ نوافذي :
طلع النهارْ
وعلى الجدارْ
دوّنتُ روحي الشاردةْ :
للحب راياتٌ ، ولي شط انتظارْ

*

أمشي على الطرقات يأخذني الحنين إلى الحنينْ
أمشي ويأخذني إلى بلدي

هتافٌ طار من جسد السجينْ
أمشي ولا أجد السفينَ ،
ولا أرى
لا
لستُ أعشىً !
أين أولادي ، وأحفادي الصغارُ الطيبونْ ؟
والبحرُ صحرائي العنيدةْ

*

أمشي ولا أمشي
أنا الواقفْ
أنا الزاحفْ
والدربُ في نعشي

*

أكتبْ
ولا أكتبْ

منْ كان لي كوكبْ
قد غاص في الغيهبْ
وتفرق الموكبْ

*

أرحلْ
ولا أرحلْ
واليوم كان خميسْ
والكل لا يجهلْ
في الليل كنت عريسْ

*

وأموت عند الظهرْ
يأتي إليَّ النهرْ
يبكي علي القبْرْ
فأعود عند الفجرْ

*

والصحب قد راحوا

لمتاعهم راحوا

والسرَّ قد باحوا

*

تلك الحكايةُ يا أبي

كانتْ

ومرتْ في شراع الذاكرةْ

فَـــلَقاً

ومدتْ للغريقِ يَداً

فلم تحملْ يدايَ سوى الأماني الحائرةْ

والآن تنفجر القصيدةْ :

" ألإعترافُ عقيدةْ "

والْإعترافُ

سلاحُ أيامي الفقيرة والمجيدةْ

الآن تنفجر القصيدةَ

لا تقلْ شيئاً

فالطيرُ طارَ

وسارَتِ الأقدارُ ،

لا كلباً يعيد نباحَه

لا هرةً تلد المدى

لا كلمةً تهب الهدى

لا القلبُ أذنبَ

كم تغربَ

كم تقلبَ في الفراش ، وما شكا

لا ذنبَ لكْ

لا ذنبَ لي

*

تلك الحكايةُ يا أبي

كانتْ

وللنسيانِ تَذْكارٌ

سيدخل في البيوتِ
وفي القلوبْ
وله دبيبٌ
وارْتعاشٌ في الأصابعِ
وارْتباكُ بكارةِ العشقِ النضيرْ
ولُقى الحبيبْ
وسأذكر النسيانَ
حتى أرفعَ العلمَ الأخيرْ
حتى أغني من جديدْ
وأعيدَ ترتيبَ البريدْ
وسأذكر الماضي
لأمشي في صهيلِ الريحِ سلطاناً
وأعطي
أعطي القصيدةَ للعيونِ السودِ
و الشَعْرِ الحَريرْ

حتى أعودَ إلى الحبيبةِ واثقاً

كالشمسِ

أغسل عن يديها

أغنياتي المُذْهِمّةْ

وأنيرَ أجوبتي الكثيرةْ :

الحب أغنيةٌ منيرةْ

والموجُ يحتضن الجريرةْ .

١٩٩١/١١/ ١



الكلماتُ الأخيرة

١٩٩٢ ، ١٩٩٩

على مشارف الموت كنت
وكانت هذه الكلمات



وصيـة :

فلتكتبوا إن مِتُّ فوق

القبر يا أهل البلدْ :

" هذا ارتأته حبيبتي

وأنا وفيتُ إلى الأبدْ "

١

أتيتُ ومهجتي لَفَظَتْ حياةً

تُسائلني ولا يرد الجوابُ

أتيتُ ، وتلك آمالي شظايا

وأعلامي تُمَزِّقُها الحِرابُ

ولَمْ أحملْ سوى قنديلِ قلبي

يُمَشّيني ، فأقدم لا أهابُ

ولا زاداً أردتُ ولا شراباً

ولا عتبٌ لديَّ ولا عتابُ

أتيتُ إليكمُ أهلي مُجيباً

فأفتوني ، ليرتفعَ الحجابُ

وتسطعَ في سماء القلب شمسٌ

ويهتفَ أبكمٌ ، ويردَّ غابُ

٢

واحرَّ قلبي من لظى الفقد والمُـــنى
إذا جنَّ غاسَقٌ وهلَّلَ شارِقُ

تمنيْتُ لو روحـــي تغـــادر جثتي
وتَسْكنُ مني في التراب البيارِقُ

فيا ربّ : رفقاً إن قلبي لضارعٌ
إليك وساجدٌ وحُكْمُكَ فارِقُ

٣

أروح وأغدو في البلاد كأنني
مصابٌ بِمَسّ ، والدروب شُكولُ
وأحمل أحزاناً تُحَرِّقُ مهجتي
وكيــف بأحمالٍ يقوم قتيــلُ ؟

٤

على الرَّفِّ محفوظٌ وإني لحافظٌ
عهودَ حبيبٍ في فؤادي مُخَلَّدُ
ولو أنّ ربي قد أحلّ عبادةً
لَقَضّيْـتُ أيامـي له أتعبَّـدُ

٥

ستمضي حياةٌ بين روحي ومهجتي
أُوزِّع فيها الحزنَ يوماً وَأَجْمَعُهْ
و لولا كتابُ الله حرّم نَزْعَهـــا
لَبَلّغْتُ للرحمـــنِ ما هو مُوْدِعُهْ

٦

إذا ما رحتُ يا صَحْبي رسولاً
إلى عمانَ أُقْرِئُها السلاما
وأمسح عن شوارعها مسيري
وأطلق في حمائِلِها الحماما
إذا ما مِتُّ ، فيهـــا فَادْفنوني
بِرَمْسٍ فيه أَشْتَمُّ الغَرامـــا

فكم أحببتُ فيها صنوَ روحي

فَأَنْظَرَني فأوردني الحِمامـــــا

وأهديت الفؤادَ له وسامـــاً

فمـــا قَبِلَ الهديةَ والوِسامـــا

وفيت له إذا ما الأرض خانتْ

وخَلَّتْ كلَّ إشراقٍ قَـــتامـــا

أنا الطفل الذي رضع الأماني

فُطِمْتُ ولستُ أَحْتَمِلُ الفِطاما

وجيبُ القلب يسمعني حنيناً

وكلّ الأرضِ يملؤها بُغامـــا

ولو زُفّتْ نساءُ الأرضِ طُرّاً

إلى قلبي لآلَيْـــتُ الصِّيامـــا

فلا نظرتْ عيوني في بهـــاءٍ

ولا لمستْ يدي منهن هامـــا

بَعِدْتَ وأنتَ أقربُ من عليها

فكيف زرعتَ في القلب السِّهاما ؟
وأنتَ النورُ في عينيك فجرٌ
فلا تأفلْ فمن يجلو الظلامـــا ؟
وأنت السترُ في دنيا التعري
فلا ترحلْ فمن يكسو اليتامى ؟
وأنت الود في دنيا التجني
فلا تذبلْ فمن يهب الوئاما
أعيشاً بعد فقدك أبتغيـــه
وحبكَ كان في الدنيا الخِتاما ؟
سأسكنُ في تراب الأرض حتى
يجيءَ الناسُ كلهمُ قِيامـــا
وروحي في حياتك سوف تمضي
فروحانا من النبت الخزامى
وداعاً لِلأحبةِ يومَ أضحى

يُزَكينـــي بقربـــانٍ تسامى

بماء الطهر يغسلني صباحاً

ويرفعني إلى الأعلى إماما

فيـــا دنيـــا أيذكرني حبيبٌ

خُلقْتُ له وعشت له عِصاما ؟

فان هاجَتْكَ أشواقٌ فَزُرْني

ولا تَشْكُ المودةَ والخِصاما

فإني نائمٌ بصري وسمعي

و لكني أرد لكَ السَّلامـــا

وقلبي نابضٌ بالحب دوماً

بعودٍ منك ينشرح ابتساما

لك الرحمنَ يدعو يا حبيبي

دُعاً للأرض يَجْتَلِبُ الغَماما

٧

إلى أين ترحل يا ولدي الأجملا ؟
إلى أين ترحل يا سيدي الأولا ؟

سأرحل يا أبتي ، سيدي ، الأنبلا
إلى بلدٍ
كان في التيه لي موئلا

إلى مطرٍ
موسمي يغني غنائي
ويشهد أني عشقتُ
وأني رجعتُ من الموت
أحمل حبي إلى من أُحبْ

إلى حلمٍ
كان فيه اعترافُ القلوبِ
وطفلٌ صغيرٌ
وضمٌّ حبيبِ

إلى قهوةٍ
أحتسيها وحيداً
بُعيدَ انبلاجِ الصباحِ
وقبل الغروبِ

٨
والعصرِ إلهي والمغربْ
لا تكذبُ أنتَ
ولا أكذبْ
فاجعلْ - مغفرةً لي -

ما أُسْقي

في الليلِ

وما أَشْربْ

٩

لم يحتملْ رُؤْياكا

والنورُ في قلبي رآكا

تطوي السما يُمناكا

ناداك من لبّاكا

يا سيدي : رُحماكا

١٠

الحربةُ تنحب قتلى

والليلُ يدق الأوتادا

والجندُ على أبواب مدينتك الكبرى

سدّوا وجهَ الشمسِ

وجُنْدُكَ يعتصرون الصخرْ

فَرَقاً

ظَمَأً

سقطوا أفواجا

والنارُ أمامك تشتعلُ

تعشق أوراقَ رسائلك الأولى

والصورَ الأولى

مَهْدَكَ

ثوبَكَ

طاولةَ السفرةِ

لستَ نبياً

وحدَك تخرجُ

مغترباً

لا شمسٌ فيك تطلُّ
ولا قمرُ
وتئن الزرقةُ مجهدةً
ويموء الشجرُ :
العالم يُحتضرُ
رملٌ غطى وجهَكَ
والغيمةُ جامحةٌ
والبئرُ مُعَطَّلَةٌ
وأميرةُ قصرِكَ باعت كلَّ جواهرها
واحتضنتْ كلمات وداعِكَ
زنبقةً بين الأضلاعْ

١١

الليلُ مفاتيحُ المستورِ
وعطرُ الأرضِ

ونافذةُ العشاقِ
وينبوعُ النورْ
ودواءُ المَصْدورْ
أغمضْ عينيك المتعبتينْ -
لمْ يبقَ سوى الباقْ
يهبطُ من علياءِ الرحمةْ
يحمل جرّةَ ماءْ
يغسل نورَ الشمسْ

١٢

يا مالكَ ماء البحر ، ورمل الصحراءْ
لا نعرف غيرك سلطانا
حين تثور الريحُ
وتضطرب الأمواجُ

وحين تُهَيَّأُ مائدةُ الإفطارِ
ويلتفّ الأحباب - بليلةِ بردٍ -
حول النارْ
لا نعرف غيرك سلطانا

طُرُقَ الرمل سلكنا
وركبنا البحرْ
وهجيرٌ يلفحنا
صرنا كرغيف الخبزِ
وبردٌ يلسعنا
جفّ الماءُ بأعيننا
والناسكُ لا يعرف خارطةَ الأمطارِ
ولا حِيَلَ التجارِ
ولا أنواءَ البحرِ
ولا عشقَ البدرْ

الصومعةُ القبرْ

الليل شراع سفينتنا
والصبح المجدافْ
جدفْ يا ربانْ
أُنظرْ
لمع الصخرْ
وانفتق الرملْ
نادانا
مرحى !
مرحى !
يا بشرانا
يا قرةَ عينِ العمرْ
الماء العذبُ هناكْ
والعشقُ الرحبُ

ومولانا بارك رحلتنا
وسفينتنا صارتْ فرقدْ
وسريرَ المُجْهَدْ
والناسك فاجأه الحيضُ
فغلّق أبوابَ المعبدْ

١٣

هذه ليلةٌ شاتيةْ
يسقط الثلج في السهلِ
والقمةِ العاليةْ
والنجومُ الصغارُ تؤوبُ
إلى بيتها صامتةْ
والمصابيحُ في شارعي مطفأةْ

وأنا وسط هذا الزحامِ
أشدّ الإزارَ
أشدّ الحزامَ
وأعبر جسرَ السلامِ
وألهج باسمك فوق الغمامِ
أحسّ الطريقَ
أعدّ الخطى في الظلامِ
تطير العمامة في الريحِ
تسقط نظارتي
في الوحول تغوص القدمْ
وأسقط في بركة عائمةْ
يحطّ على كتفيّ الحمامُ
فألهج باسمك فوق الغمامِ :
لك البدءُ والخاتمةْ

١٤

تــغــيــبينَ
يذكر رملَ الصحارى
وصمتَ الحيارى
ورحّالةً ظامئينْ
وتيهَ القوافلْ

تــجــيــئينَ
ينبجس النبعُ والوردُ
من خطوكِ المتهادلْ
وتخضرّ بعد اليباسِ السنابلْ

١٥

ثلاثون عاما
يُعد القصائدَ ،

يمدح بيارة البرتقالِ ،
ويفتح بوابةً للندى والمشاعلْ

ثلاثون عاما
يعد الولائمَ
يطعم كل اليتامى ، الجياع ، الأراملْ

ثلاثون عاما
يُطَوِّفُ في البحر يوماً ، فيوما
و لم يلد البحر بنتاً ، وأماً ، وساحلْ .

١٦

وفي الليل ، ينكشف السترُ
تنـــزاح كل الفواصلْ

فلا حد للشرقِ
لا حد للغربِ.....
يحمل عنك أساكِ
أينساك ؟!
يا غربةَ القربِ :
يبصر فيك سواكَ
ويبصر فيه سواه
يسيران قلباً وقلبْ
يزوران أرضَ حَلَبْ
وحدائقَ بابلْ
وفي القلب فرحته والعجبْ !

١٧

أعدي ليَ المائدةْ
فقلبي على مدخل القرية النائيةْ

شارة النصر عند الغروبِ
وروحي على رف مكتبي ساجدةْ

أعدي ليَ المائدةْ
صورتانِ أمامي ،
مدى العين تتسعان ، وتصطرعانِ
وعينايَ غائمتانِ ، وغائرتانِ
وتحملني موجةٌ شاردةْ

صورتانِ :
نهارٌ وشمسٌ ، وليلٌ بدون قمرْ
إنني أنتظرْ
وأنظر فيّ أراني
مع القادمينَ
مع الراحلينَ

أُلملم زادَ الرحيلِ
أجمل وجهَ الطريقِ
لمن يقدمون ، ومن يرحلونْ

أعدي لِيَ المائدةْ
فالمناراتُ كثرٌ
خذيني لنورِ الوجودِ الأصيلِ
ونجمته الراشدةْ
فالعناقيد طازجةٌ دانيةْ
والسلام تحيتنا الخالدةْ .

١٨

" هي الساعةُ الرابعةْ "
تُشيرينَ نحوَ الجدارِ

- تأخرتِ ؟!
- في البيت ينتظرون رجوعي .
- دعي عطر زَهْرِ القرنفل يُــحيي اندثاري
دعي تَــرَحي , وافرحي
وهم الحياةِ اطرَحي
وخذي وَهَجَ القلبِ والروحِ ، وْاستَرْوِحي
وعني اصْفَحي
لكي لا أضلَّ السبيلَ
إلى حلمي
ومصابيح داري .

" هي الساعة الرابعةْ "
سأُهدي نشيدي القديمَ ،
ووجهي القديم إلى الزوبعةْ
وكوني معي أو معهْ

وكوني المصابيحَ ،
كوني المفاتيحَ
كوني السراديبَ
والبحرَ ، والموجَ ، والأشرعةْ
وكوني الأسرةَ والصومعةْ
معي أو معهْ
سنهدي القديمَ ، القديمَ إلى الزوبعةْ .....

" هي الساعة الرابعة "
وأنت أمامي
تدق طبولٌ وتعدو خيولٌ
أقول : عليك السلامُ
أتنتظرين كلامي ؟!
اغْمضي العينَ ،
عيناك ليلٌ سجا ،
وله في الفؤاد ضرامُ

١٩

قبضةٌ من ترابٍ
أنا
لمعةُ البرق قبل نزول المطرْ
وأغنيةٌ من ضياء القمرْ
في شفاه الغريبْ

وغرقى يصيحونَ
رملُ الشواطِئِ
أنتِ
وطيرٌ يغرد فوق النخيلِ ،
فينشر في الأرض معنى الصهيلْ .....

٢٠

أقول أنا ما أشاءْ
تقولين ما شئتِ
قولي : النجوم بعيدةْ .
وأبعدُ منها مُنانا
وعند الغروب يفيض أسانا
على الطرقات تضيق خطانا
نناجي السماءَ . نطيل الدعاءَ
وفينا أنينُ الفوارسِ في كَرْبلاءْ .....

تقولين ما شئتِ . قولي ولا تحزني
أقول أنا ما أشاءُ :
ليس من ديدني
أن أقول الوداعْ

وأن أهب العاصفةْ
دقيقَ صغاري الجياعْ
وأن أحبس الكلماتِ بكهف الضياعْ .....

٢١

على ظلها ترقد الروح متعبةً مثقلةْ
وتلقي ذخائرها
وردةً وردةً
تستبين المدى
والمدى أحرق الأسئلةْ
ونسأل في هدأةِ النار ما المشكلةْ ؟!

٢٢

يقولونَ :
طوّحه القلب ، بل ضللّهْ
فقال :
هو القلبُ
والقلب خفقته البوصلةْ
فلله ما أنبلهْ !

٢٣

أضاءت مصابيحَها في الدم الجُلْجُلَةْ :
سنون مضتْ
ورمى الذكريات على الحافلةْ
أطلّ هلالٌ وضيء المحيا
فأحيا الورود بجنته الذابلةْ

٢٤

إذا ما الندى جرحَ الطيرَ يوماً
وعض الوليدُ يدَ القابلةْ
وضاق بأمواجه البحرُ ،
واستأمن الذئبَ والجارحاتِ
على نجمة زينت ساحِلهْ .
إليكِ اعتذار الربيع عن السنبلةْ
يعطر في شفتيك ابتسام الهلال الأخير .....

٢٥

صحبي وجلاسي
أهلي ويا ناسي
قلمي وقرطاسي
فرحي و إيناسي :

لم أخفِ إحساسي
حبي على راسي
تاجا من الماس
فلتشربوا كاسي
كاسي أنا كاسي

٢٦

ليس في الأمر غرابهْ
كل ما حولي كآبهْ
قطعوا القلب وقالوا :
علقت فيه ذبابهْ
بعد هذا
أترى تبقى قرابهْ ؟

٢٧

هذا الجاسوسْ
ليس له ناقوسْ
يتسلل خلف الشمسْ
متخذا أشكالاً عدةْ
ويقود رعيل الردّةْ .....

٢٨

حبيبتي
أنا الوحيد في البلدْ
لا بيتَ لي ، ولا ولدْ
فمن وعدْ
أهدى الخريف والكمدْ .

٢٩

ولأني أحببتُ
تناثرتُ شظايا خلف الجدرانْ
هجرتني الكلماتْ
فليكتبْ عني الشعراءْ
وليكتبْ عني السفحْ
فالجرحْ
أكبر من كل الصرخاتْ

٣٠

يا صاحبي ، كأنني أموتْ
والحبل خيط عنكبوتْ
خذني إلى بيروتْ
وجمل التابوتْ

كأنها الأعيادْ
يا صاحبي
خذني إلى بغدادْ
لأشهدَ الميلادْ

يا صاحبي : ولهانْ
خذني إلى عمانْ
لأعزف الألحانْ
لحبها
وأملأ الوجدانْ
بالحب والأمانْ

يا صاحبي
الحلم يصحو في عدنْ
بين الرغيف والكفنْ

يا صاحبي : خذني و عدْ
فكلها عندي وطنْ

٣١

كان مظلوماً ولكنْ
لم يُذِعْ أي خبرْ
وابتغى العدلَ لديكِ
فإذا أنتِ بشرْ
فدعا اللهَ منيباً ، وصبرْ

٣٢

في صومعتي
أغمضت جفونْ

وقرأت عيونْ
ترجمني :
مجنون ، مجنونْ !

في صومعتي أهذي :
عرياناً يأتي الإنسانْ
ويغادر عريانْ
من يستر عوراتي من حَرِّ الشمسْ ؟!
من يستر في الليل فروجَ النفس ؟
إلا حبي
وحبيبي الميمونْ ،

في صومعتي
جرسٌ وسراجْ
يا حبي . يا حصني في وجه الريحْ :

إن دقت يُمناكَ البابْ
ستغني أشواق قريحْ
وتعود إلى البحر الأمواجْ

٣٣

ودقت الأجراسْ :
سيملأُ الندى ، دروبك الطويلةْ
وازّيّنّت المدينةْ
مدينتي
مدينة السلامِ
وارتديت - يا حبيبتي -
ارتديتُ روحَكِ النبيلةْ
تطهرت مدامعي
أصابعي ، قصيدتي ، سفينتي ،
لأنني ارتديت روحك النبيلةْ .

٣٤

حملتُ حبيَ الوحيدَ في دمي
رسمته على الجبينْ
وما وهنت عندما أتوا
ليقطعوا الوتينْ

٣٥

هذا سراجي مطفأ ،
فمن سيشعل الفتيلةْ ؟!
ومن يعانق الصغار أول النهار ؟!
وأين تذهبين ؟!
ستكتب الجرائد الخبرْ
ويرقد الوترْ
لن يسقطَ المطرْ

ولن يضيءَ بعدك القمرْ
ولن تغني بعدكِ القبيلةْ ...

٣٦

أيا ولدي : أتعرفهمْ ؟!
أحبائي
لقد عبروا
وما نظروا
وقلبي بعدهم ما زاره مطرُ
أيا ولدي : سأنتظرُ
فقد وعدوا ، وما حفروا
وقد شاءوا ،
وشاء الله والقدرُ
أيا ولدي :

غداً أقضي

وبعد غدٍ سأندثرُ

ويبقى الحب - يا ولدي

لمن صبروا

لمن صبروا

٣٧

سأشرب نخب الضيافةْ

فمن فاسَ

حتى الرصافةْ

لقد جهلوكِ

وأنت بقلبي اليقينُ

وأنت الخرافةْ

سأشرب فيكِ ومنكِ
سأشربُ
أشرب نخب الضيافةْ

٣٨

كأساً عذبةْ
حبي كانْ
والآنْ
بحرٌ مالحْ
لا يُروي ظمآنْ
وأنا غَرِقٌ
في الكأس ، وفي البحرْ
صليت صلاة الفجرْ
وأنا أعرف دربَ القبْر

٣٩

فِي البدءِ ، وقبل الخلقْ
كان الماءْ
عرشَ اللهْ
والآنَ حياةْ
ورؤى عشقْ

يا حبي الأوحدْ
يا فردوس المجهدْ :
صدري انْشقْ
في هذا الشرقْ
من يسقيني الماءْ ؟!
من يأخذ عني الماءْ ؟!

٤٠

من يغني
مأتمي عرسي
وعرسي مأتمي ؟

٤١

يا امرأ القيس أجزْ :
نُواحٌ عراقيٌّ بقلبي ولوعةٌ
....

٤٢

قدستُ الحبَّ صبيا
سأجي بهياً ونديا

مولايَ وسيِّدَ روحي
سبحانك !
ما بي دنسٌ
أمطرْ
طهرْ كل طهاراتي
واغسلْ أيامي من رمل الأرضْ
أمطرْ
مجدبةٌ هذي الواحةْ
كيف أجيء إليك بهيا ؟ !
أمطرْ أكثرْ
كي تندي روحي
وأجيء إليك بهياً وَزَكيا .....

٤٣

وحدي هنا . وحدي هناكْ
لا الحب ناداني ولا صمت الحبيبْ
ملقىً على الطريقِ
يا إلهي : هل أنا الغريبْ ؟!
وهذه الأمواج لي
تعزف لحنها الرتيبْ ؟
وهذه جزيرتي ، تدق لي أجراسها ؟
أدمنت صبحها وعصرها
والراهبُ العجوزُ
جاء يحمل الصليبْ
رُحماكَ يا مولايْ
يا سيد الرجاء والودادْ
صرخت ملء العينِ

لكنْ
دونما مجيبْ
و لم يكن في الأفق نورسٌ
وما غنى لحالي عندليبْ
فمرحباً بالزائر الغريبْ
ومرحباً بزائري الرهيبْ

٤٤

ألبيت ضمني وما عرفْ
بأن قلبي قد نزفْ
وأن شيئاً غامضاً دلفْ
براحتي وهامتي عصفْ
ومسني ما مسني
ودارَ واسْتدارْ
غطى النهارَ طيفُهُ والمنعطفْ
ونخبَ طفلتي ارتشفْ .

والبيت ضمني
وما
عرفْ

٤٥

لو أنت أيها الحنونْ
لو أنت أيها الجنونْ
لو أنت يا زيادْ
عن العيون والشجون ساعةً تغيبْ
حتى أرى
حتى أرى الحبيبْ .
حبيبتي أنا .

٤٦

لو أن خالتي هنا

كنت حكيتْ

لو أن خالتي هنا

كنت شكوتْ

لو أن خالتي هنا

كنت بكيتْ

لو أن خالتي هنا

كنت ارتميتْ

في حضنها ونمتْ

في حضنها ومتْ .....

٤٧

يا خالتي :
هذا أنا أتيتْ
أريد قهوةً سريعةْ
وطفلةً وديعةْ
وبسمةً تعيد للقلب ضلوعهْ

يا خالتي :
هذا أنا أتيتْ
وما معي غير الكلامْ
إليك خالتي السلامْ
فسامحيني ،
واغْفري غيابيَ الطويلْ
فإنني غفرتْ
غيابك الطويلْ

٤٨

ومسني أنا الندمْ
ونفحةٌ من العدمْ
لو تعرفون يا رفاقْ
مرارةَ الفراقْ !
ولوعةَ الفراقْ !
وعثرةَ الخيولِ في السباقْ !
لو تعرفونْ
عذرتمُ المشتاقَ إذْ يصيحْ :
من يشتري مصرَ الهرمْ ؟
من يشتري الجودَ ، ويشتري الكرمْ ؟
وليلةً في القلب أدَّها الألمْ ؟

٤٩

أناخ الليل راحلتهْ
على بابي
وأطفأ نورَ مصباحي
ليحرسني من العتمةْ

٥٠

أعلّق فرحةَ النجمةْ
على قلبي
وأدعو كل أحبابي
إلى الخيمةْ
وأحرسهم من النسمةْ

٥١

وأنت هناك نائمةٌ
ووحدي أشرب القهوةْ
أدق البابَ
أفتحه ،
وأوصده ،
وأدخل ثم أخرجُ
والشتاءُ هو الشتاءُ
يجرد الأشجارَ
يغسلها
ويمنحها انطلاقَ الروح والنشوةْ

٥٢

صباح الخير يا ريما
صباحٌ كله نورُ
مدى الأيام يهدينا
ويونسنا
صباحُ الخيرْ

٥٣

أيا ريما
خذي عينيك وارتحلي
بعيداً
عن مدى أملي
وخلّي الشوق في قمري

يطهر مهجتي الحرّى

مدى العمرِ

٥٤

أنا ما اخترت أيامي

وما اخترتِ

أنا ما كنت إنساناً

وما كنتِ

بغيرِ البوحِ والصمتِ

٥٥

وضعتُ بعينكِ الحكلى

أنا زيتي

وعدت أعد أنفاسي

إلى بيتي

٥٦

أدق الباب يا ريما

وفي عينيّ غيماتٌ شفيفاتُ

وفي كفيّ

أنهارٌ مضيئاتُ

وموج الشوق يحملني

وأحمله

وشط سفينتي كلمةْ

٥٧

تدق الباب ريمايا
فوافرحي ، وسعدايا !
فأفتح تاركاً كتبي ودنيايا
وأنشد سيدي الهادي :
لك المرضاةُ مولايا

٥٨

فتحت البابَ
ظل البابُ مفتوحا
وغنت مهجتي لحنا
وكان الصوت مبحوحا
وخلف السورِ

تبكي الريحُ مجروحا
وظل الورد فوق النارِ مطروحا

٥٩

الموعد المضروبُ من قلبي اقتربْ
سيغيب ضوءُ الشمس عن عيني ،
وينطفئ اللهبْ
كم كنت أنفض عن يدي
رملَ العواصف والتعبْ !
وأمرّ...
فوق الرأس تاجٌ من ذهبْ

أزفَ الرحيلْ
بلدي تعانقني

وتحضن رعشةَ العشاقِ
تؤوي من يؤوبُ
تُطمئن الأعشابَ
والحرَّانُ فيها يبـــتردْ

أزف الرحيلُ
وكم بلدْ
طارت خُطايَ إلى شوارعها
وغاصت في الزبدْ ؟

حُمَّ الجسدْ
والنار في قدمي ، وفي كبدي
تهب من الوسادةِ والسريرْ
والنهرُ شق الصخرَ
صاحِ : اصغ ، استغاثته تناهت من بعيدْ !

أتقول : جئتك بالقديدْ ؟
يا صاحبي : أنا لن أعودْ

نادوا بنيّ كبيرهم ، وصغيرهم
وحفيدتي
نادوا على الجيران والأصحاب والأحباب ....
قد حُمَّ الجسدْ

إغماءةٌ ، وإفاقةٌ تتناوبان ،
وضاق بالصحب المكانْ
والناس حولي ساهمون ، وواجمونْ
يبكونَ
ينتحبونَ
يبتسمون حين يرون رفّةَ رمشيَ الكسلى
بيانُ حفيدتي :

لا تجزعي
فالأمر هانْ

لم يعرفوكَ ، و لم يروكْ
لم يُنْزِلوك ، ويكرموكْ
مرحى لزائري الجليلْ !
أنت الرسولْ
لقد انتظرتكَ ،
واستوى عودي النحيلْ
لك وردةُ العمر الطويلْ
لك غلةُ المحصولِ ، والزيتُ المضيءْ
لك ما احتجنتُ من المعاني الصافياتْ
والجهرُ والإسرارُ ، والحبُّ النبيلْ
والطهر في قلبي البتولْ

الصمتُ حولي كالغسقْ
والروح في جسدي الفلقْ
يا سيدي :
جمد العرقْ
فخذ الأمانةَ وانطلقْ
وَدَعِ المحطةَ تحترقْ

- ٦٠ -

أنتَ الوحيدْ
يا سيدي الملك المجيدْ
البدرُ باسمِكَ ساهرٌ
في هدأةِ الليلِ المديدْ
والأرضُ تقتبسُ اخْضِرارَ ربيعِها
وتبدل الأثوابَ ،

والشمسُ المضيئةُ تستعيدُ شروقَها وغروبَها .

وأنا اغْتَسَلْتُ بمائِكَ العذبِ الطهورِ
وجئتُ بابَك أستزيدْ
قلبي حمامُ الأرضِ
أيقظه الندى
فاهتز نشواناً وجاوبه الوجودْ
والكونُ عيدٌ
والضحى كشف الستارَ
وجبهتي فوق الثرى
لَبَّتْ
وفاضت في السجودْ :
لَكَ سيدي روحُ الخلودِ ،
وحسبنا ثوبُ العبيدْ .

السورُ يحمي الوردَ من لصٍّ مريدْ
وجهي على قِمَمِ الجبالِ
يقلب الأفقَ البعيدْ
والقلبُ ينبض بانْتِظامٍ
لا مرضْ
ويدايَ تبني ما انْتَقَضْ
والساقطون عن الدرجْ
طمسوا الوهجْ
سرقوا الورودَ ،
وحطموا سورَ الملكْ.

النجمةُ انْطَفَأَتْ
وماءُ البحرِ مشتعلٌ
وتنفض رَحْمَها الأم الولودْ
أين الكلامُ ؟!

وغيمةُ الشعراءِ ؟
والماضي البعيدْ ؟
ما فات عندكَ لا يفوتْ
أشجارُنا مكشوفةٌ
وطيورُنا
ودماؤُنا خلفَ الحدودْ
والغربةُ الْكُرُباتُ بين يديكَ .
ألهمنا الكلامَ !
ودعوةَ اللّهْفان ، فالشفتانِ راعشتانِ ،
والعينان لاهثتانِ
والنيرانُ أصْرَخَتِ الحديدْ
والسرَّ باحتهُ الجلودْ

ما فاتَ عندكَ لا يفوتُ
وأنت أوسعتَ البيوتَ لمن يفوتُ ويرجعُ
ورِحابُ عَفْوِكَ أوسعُ



أيـن الـنـاس

٢٠٠٣

إهداء

إلى الأخ :

عيد المحيص

" ما إن أمسك القلم ، إلا وتمثل صورتُكَ أمامي

،فأقصيكَ ، وأخفي السر ، وهأنذا أُدنيكَ وأبوحْ "



سجود

وأوصدتُ بابي على مهجتي
وتوسّد قلبي الكمدْ
ويحملني الظلّ – ظلي الشفيفَ –
إلى شرفتي متعباً
فهوتي دمعتي مذْ فقدتُ الولدْ

وأرقب شمس النهار تودّ ع هذا البلدْ
وتشهق ، مصفرّةً ، بالنحيبِ
تميلُ ، وتسقط ، محمرّةً ، في المغيبِ
تناهى إلى أذني هتافٌ :
هو الحيُّ باقٍ أبدْ

ووردٌ هنا
وهناك نخيلٌ سما وارتعدْ
وآبت سيوفٌ لأغمادها
وخيولٌ لساحاتها
وفتّشتُ عنّـــيَ ، فيَّ ،
ولكنني لم أجدْ
دمي وعظامي
لقدْ ضاع مني الجسدْ

هو الحي باقٍ أبدْ
مع الساجدين سجدتُ بمحرابهِ
وكلٌ سجدْ

قَطَريٌّ بن الفجاءةْ

(إلى الندى نسبته ، فمعذرة)

لقيته معفَّر الجبين في الصحراءْ
دعوته إلى العشاءْ
في الأمس قد لبّى النداءْ
قَطْريُّ جاءْ

زينتُ داري للقاءْ
بستانَها سقيته
جدرانَـــها بيضتها
والعطرَ في أرجائها ضوعته
ودربَـــها فرشتها حنّاءْ
قرأتُ ما استطعت في الكتبْ
حفظت شعراً في النساءْ

وافرحتي !
قطريٌّ قادمٌ هذا المساءْ
وهبته الرغيفَ والكساءْ
وخادماً
وزوجةً حسناءْ
نام قريرَ العين في سلامْ
وفي الصباحْ
هزَزْته وما انتبهْ
وعندما أفاق صاحْ
ورد لي كل العطاءْ
وظلّ شاخصاً إلى السماءْ

ومسرعاً غادرني
شيعته
وغاب في العبابْ

كالبرق إذْ يمتصُّه السحابْ
يرتل القرآنْ
ويرجم الإمامَ بالنيرانْ

المارد الجبارْ
قطري إعصارٌ ونارْ
وشاعر مكينْ
قد هجر الحبيبَ والظلالَ والديارْ
وطيبٌ كزعتر الجبال في آذارْ

معفر الجبين في الصحراءْ
لقيته ،
وحوله من صحبه ثلاثةٌ أو أربعةْ
عمائمٌ مرقعةْ
ملابس مهلهلةْ
يدي رفعتُ عالياً ،
وأَوْشَكَتْ أن تصفعهْ

لولا هبوبُ الزوبعةْ
بادرته :
فرَرْتَ ياهمامْ !
رَدَدْتَ لي كل العطاءْ
وما نبستَ بالثناءْ
هاج ،
وجال في السماءِ بالنظرْ
صوَّب نحوي بالوترْ :
- قد حكْتَ لي مؤامرةْ
في بيتكَ اتُّهِمْتُ أنني الإمامْ

قطري في الصحراء هامْ
ونصف وجهه
مضيءْ
ونصفه
الثاني
ظلامْ

مهرجان

ونادى المنادي : غداً مهرجانْ
غداً عيدُ هذي البلادْ
سيأتي الأمير. سيأتي الوزيرُ
وجمعٌ غفيرٌ من النبلاءِ
من الفقراء سيأتي الكثيرْ

ونادى المنادي :
غداً عيدُ هذي البلادْ
أُعِدَّتْ جيادٌ مُطَهَّمَةٌ ، وأُعِدَّ الشرابْ
- غداً عيد هذي البلادْ
سكونٌ يخيم فوق السكونْ
وقال الأميرُ

وصرخةُ طفلٍ علتْ
وقال الوزيرُ
عجوزٌ تصبَّبَ منها العرقْ
ورأس التجارةِ قالَ
وهاجتْ جموعْ
- رويداً . رويداً تبقى القليلُ
فماجت جموعٌ ، وألقوا الشموعْ
وغاب عن الساحةِ البهلوانْ

المكتبة

هنا المكتبةْ
وكل كتابٍ قمرْ
إذا ما التقينا
التقينا عشيقين تحت ظلال الشجرْ
يغني أغاني الغرام النَّهَرْ
لنا
للنجومِ .
هنا ،
أَتُرى لا يطيب السمرْ ؟

هنا المكتبةْ
مراجعُ فوق المراجعِ تجثو

أرتب فوق الرفوفْ
أساطيرَ روما ومصرَ وبابلْ
وحِكمةَ شرقٍ ، وتجريبَ غربٍ
ويبقى فؤادي مع النجم دوماً يطوفْ

الضيوف

يضل الطريق إليَّ الضيوفْ
ولست طبيباً ولا فيلسوفْ
ومائدتي خاويةْ
فيومٌ رغيفٌ ويومٌ صيامْ

يضل الطريق إليَّ الضيوفْ
ومن خلف بابيَ دقُّ الدفوفْ
ولبسُ الشفوفْ



أمنية

أمنيتي مجنونةْ
في صدري مكنونةْ
هأنذا أنزع عنها الأستارْ
لتطيرَ مع الأطيارْ
ولِتُــعْرَفَ قيمَتُهُ الجوهرْ

النارُ هي النارْ !
تحرق ما يُقذف فيها
ما فيها إلا الأمواتْ
أتمنى أن أحيا في كبد النارْ
لحظات لحظاتْ
أنْ أهبَ النارَ حياةْ

أتمنى أن أغدو سمكةْ
لا تسقط في شبكةْ
في عمق البحر تغوص وفي الأسرارْ

أمنيتي – وأمانٍ لي كثر –جناتٌ وطيورٌ خضرْ
أمنيتي الأسمى
في صدري تحيا خفاقةْ
كل أمانٍ سواها نجمات ،
وهي البدرْ
أن أرجعَ – لو يوماً – بعد فناء العمرْ

أوَ قلتم مجنون ؟
ناجيتُ السلوانَ ، وناجيت الصبرْ

إليكَ أؤوبُ الآن

اليوم رأيت النهرْ
يعدو - جَذِلاً - نحو البحرْ
كي يغدو البحرْ
النهرْ
إنْ واجهه السدْ
يعلو فوق الحدْ
لا يعرف إلا المدْ
النهرْ
جاوره الشوكُ ، وجاوره الزهرْ
النهرُ حياةْ
النهرْ

دوماً مشتاقْ
يعشقه الصبيةُ وكبار القومْ
ألقوا فيه السفنَ الورقيةْ
ورسائلَ عشاقْ

أو يرجع للنبع النهرْ ؟

رأسي تحمله كفايْ
وأُتمتم - لا تسمع أُذُنايْ :
النهرُ إلى البحرِ يؤوبُ ، ولا يرجع للنبعْ
وأنا - مولايَ -إليك أؤوبُ الآنَ
ويومَ الجمعْ

أين الناس

في بحر النوم غرقتُ
وذات صباحْ
ناحَ الحوتُ ،
وأيقظني زلزالٌ ناحْ

جَفّفْتُ الماءَ
فركت العينَ
حَكَكْتُ الأُذْنَ
تَفَلْتْ
عن سفني فتشتْ
ضاعت سفني في البحر ،
وضاع المفتاحْ

ونشرتُ جناحيَّ ،
وأشعلت المصباحْ
أعلى من ملك الطير سموتْ

أين الناسْ ؟
مدنٌ مهجورةْ
أكواخٌ منثورةْ
ورمادٌ أسودُ في كل مكانْ
لا طيرٌ ، لا قردٌ ، لا أغصانْ

أين الناسْ ؟

هبت ريحٌ ، وارتجَّ المصباحْ
قلبي يخفق في إيجاسْ
غشاني الوسواسْ
موحشةٌ أرضي بعد الإيناسْ

وجناحي الأيمنُ كَلْ
والأيسرُ بالتامورِ ابْتَلْ
إهبطْ فوق التلِّ
لعلَّ وعلْ
فالقريةُ كانت جد صغيرةْ
فيها تم زفافُ أميرٍ وأميرةْ
كانت للشاعر ناموسهْ
يصفو
ويداعبُ طاووسَهْ

أين الناسْ ؟

ثَقُلوا خفّوا
صاروا شفافين ورَقُّوا
صاروا أشباحْ
صاروا أصناماً ليس لها أرواحْ



الطير والمرأة

إذْ أودعوه في القفصْ
ما زاد يوماً عمره وما نقصْ
لكنهم في قلبه اغتالوا القمرْ

والجوهرةْ
في خدْرها مُخَدَّرَةْ
أيقونةً مكسرةْ
في متحفٍ بلا خفرْ
قد أنجبتْ
وما مرى حليبها وما استعرْ
والأرضُ أجدبتْ

فلا قطرٌ همى

ولا ثمرْ

هلْ أطلقوهْ ؟

من سجنه وحرروهْ ؟

قد هتفوا :

" محررةْ "

فانطلقي ، وسابقي الحمائما

وسرّحي الجدائلا

وحرّقي البراقعا

" محررةْ "

لك السهولُ فارتعي

وشاربي من شئتِ أن تُشاربي

وراقصي من شئتِ أن تُراقصي

وصاحبي البهائمَ السوائما
وضاجعي من شئتِ أن تُضاجعي

" محررةْ "
حتى غدتْ مُذكّرةْ
لتائها
شائنةً ومنكرةْ

الطيرُ طيرْ
حرٌ
إذا علا وقرْ
يوازن الجناحْ



لقـاء

عمري ستةَ عَشَرا
مدرستي ، مدرسةُ صلاح الدينِ ، شمالَ الحيّْ
و"رؤى" في مدرسةِ المنصورِ ، جنوبَ الحيّْ
والعمرْ
أولُ أيام البدرْ

كل صباحٍ نتلاقى
تلحظني ، وأُلاحِظُها
في أمنٍ وسلامْ
من غير كلامْ

واليومَ
تلاقينا من غيرِ لحاظٍ ،
مبلولينِ ومُرْتعشَينِ
كلانا يتوارى تحت مظلته
من حجرٍ ملساءٍ غطاها الوحلْ
عثرتْ
ومدَدْتُ يديَّ ، وقلتْ :
حمداً لله ، وقالت : حمداً للهْ
وخطوتُ قليلاً ، وأدَرْتُ الوجهْ
وأدارتْ وجهْ
كدتُ أبوحُ ، وكادتْ
وتفارقنا من غير كلامْ
في أمنٍ وسلامْ
دنيانا ليس لها حدْ
دنيانا مفْعَمَةٌ بالوردْ
وأبي سافر عصر اليوم ، وسافرنا

الآن بلغت ثلاثينْ
وازْدَدْتُ وسامةْ
كلماتي ازدادت أَنَقاً ورزانةْ
دخلتْ سيدةٌ تصرخُ :
"ولدي مشجوج الرأسْ !"
وتناولت القارورةَ والمبضعَ ، قلتْ :
حمداً لله ، وقالتْ : حمداً للهْ
وخطوتُ قليلاً ، وأدرت الوجهْ
وأدارت وجهْ
وتفارقنا من غير كلامْ
و"رؤىً " في النفس تشجُّ النفسْ



نعي

"أحياءٌ ، عند مليكٍ ، مرزوقونْ "
نعيٌ فوق الجدرانْ
كطيورٍ فوق الأغصان تَرِفْ
كأميرٍ لأميرته زُفْ
خفق القلبُ ، ودقَّ الدُّفْ
وضربتُ الجبهةَ بالكفْ :
هيا
هيا يا ميمونْ

لص

لصٌ محترفٌ سرق نقودي ،
وجوازي ،
وتذاكرَ أسفاري

أمسكهُ شُرَطيٌّ مأفونْ
قاسمهُ نصفَ غنيمَته
لصٌّ باركه القانونْ
وأنا متهمٌ ملعونْ

حسبي

ما شهدتْ عينايَ الدرَّ
ولا الياقوتْ
ما صاحبتُ زرادَشْتَ
ولا أفلاطونْ
قالوا : أميٌّ مجنونْ
حسبي
تسبيحُكَ يا ذا النونْ
في بطن الحوتْ

الشعر

- أ -

الشعرُ نجومٌ حرةْ
للبحّارةِ قُمرةْ
وشراعٌ للريحِ ،
وللكسلى مهمازْ
ينثر - أحياناً - في حضني جمرةْ
إذْ يغدو للزوجة ضرَّةْ
أو يُنْسي دَفْعَ الأجرةْ
للسائق والخبّازْ

- ب -

لو تسمعين ندائيَ المتلهفا :
الشعرُ أغراني ، وحبك ما انطفا
إني أحبك شاعراً ومثقفا

كالأشجار

لي فيكِ معاشْ
وغطاءٌ وفراشْ

ألجم ريحي ، وأضيء مصابيحي
وأرتب سروالي وقميصي
أختار مقاييسي

في سوح النجم ،
وما أجملها من سوحْ !
أطلقتُ خيولي في تلك السوح تسوحْ
كل قيودي وحدودي تتلاشى
كسرابٍ جنّ عليه الليلْ
وحمامٍ طار وغاب عن العينينْ

لي أُذُنانِ ، وعينانِ
ولي شفتان ، ونفسْ
جاء فقيرٌ ، فوهبتُ السمعَ
وجاءت إمرأةٌ ثكلى ، فوهبت العينينِ
وجاءت جارةُ أختي تشكو الدَّينَ
وجاءَ
وجاءَ...
وبالنفسِ ضَنَنْتُ

ماذا أبقيتَ ؟
وماذا أصبحتْ ؟
- حياً كالأشجار وميتا

ميتاً كالأشجارْ
صمتُ قبورْ
وخيوطُ عناكبْ

ندبٌ وبثورْ
ورقٌ يصفرُّ ،
ويخبو النورْ
ميتاً كالأشجارْ
تتعرّى
هي سجدتها عاطلةٌ من كل الزينةْ
تعلن توبتها
ترجو غفرانا
تملي في الكون وصيتها

حياً كالأشجارْ
أبصرتِ الشمسَ ،
فمدت أغصاناً وفروعْ
وجذوراً في العمق إلى الينبوعْ
سمعت همسَ الليلْ

وأهازيجَ السيارةِ والركبانْ
ناداها العشاق الوُلّــهْ
فرشت فوق الرمضاء الظلْ
ونسيمٌ داعبها
حفّتْ
غنت ، وتمادى الطيرْ

حياً كالأشجارْ
تنصب درجاً فوق الغيماتْ
ترقى فوق النجماتْ
ناداها الصوتْ
ظلت تعرج في الملكوتْ

عمـر

ليلٌ
واحتجبت فانطفأت أنجمه-
لا صبحٌ يتراءى في البعد ولا قمرُ
جفت كل بساتين الأرضِ ،
وهاجر عن زيتون الطهر الطيرُ

باسمك ألهج طول العمرِ ،
لعل القلب يوافيه المطرُ

وجهك مصفرٌّ
عيناك استوطن فيها الجمرُ
أضناك القدرُ ،

وأضناك السهرُ
والبسمة - في شفتيك -
ضياءٌ ينداح ويزدهرُ

من تخشى ؟
تتوسد نعليك ،
وغيرك عافته السرُرُ
نورٌ أنت ،
وغيرك أصنامٌ تكسوها الدررُ

من تخشى ؟
أتعبتَ الآتين ومن قُبِروا
أنت الفاروق ، وأنت الحرُّ
يا عمرُ

الزينة

- لستُ جميلاً .لست وسيما
- لكنك بين وبينْ
-خذْ أموالي . خذْ آمالي . خذْ سلطاني
خذْ ولدي . خذْ شهواتي
خذْ هذا كلهْ
خذْ كل الزينةِ كي تصفو الروحْ

- أخلفتَ الوعدَ ، وأنكرتَ الدَّيْنْ
حجراً أصبحتَ ، وإن صادفك النحاتُ
ستصبح تمثال المتحفْ
أشبهت القردةَ ، والبوم ، وأغربةَ البينْ
-رُدَّ إليَّ الزينةَ .

لكن بالقسطاسْ

- الآن غدوت الألماسْ

لا أملك إلا النار

وبقيتُ وحيداً
سربُ حماماتٍ عملاقةْ
عبرت يتبعها الصوتْ
ألقت شهباً ونيازكَ
ألقت أكفاناً سوداً للموتْ
وانتهتِ التهويمةُ، وابتهج الشيطانْ
وتلوى،
وتدلى من أذنيه وفيهِ الثعبانْ
راقص - من طربٍ ، في سَكَرٍ -
أنثاه وسط الغيلانْ

بركانْ
سقطت واحترقت أعجازُ النخلِ ،
وأسرابُ النملْ
وكنيسةُ عيسى ، والمسجدُ ، والحانةْ
وانشقت أرض وابتلعت
مكتبةَ الفارابي، والمتنبي ، وسليمانَ الحلبيَّ، وغوري
وحلالَ الدين ، وزريابَ ، ومرضى القلب ،
وأكوامَ نفايات أنــفَـتْ منها الديدانْ
وتوارى الإنسانْ

بركانْ
وبقيت وحيداً
وامرأةٌ تصرخ ملتاثةْ
ولدي . ولدي . يا قرةَ عيني . يا سندي
وكلابٌ هرّارةْ
غاصت في الوحلْ

قططٌ وذبابْ
وعجوزٌ ظمآنْ
ونعيب غرابٍ لفَّ الأكوانْ
وابتهج الشيطانْ

وبقيت وحيداً
تعبت قدمايْ
تعبي رملٌ أسودُ في أوجه ملكات الإنس
وفي أوجه ملكات الجانّ
شجرُ الغابةِ جافاه النومُ ،
وجافاني
لا تبتسم الشمسُ ،
ولا عن بعدٍ ثار غبارُ الخلانِ
متُّ وصحرائي واسعةٌ،
أوسعُ من قلق الحيرانِ

أهلي تحت الردم ،
وأحبابي ، وبناتي ،
ورفيقاتُ صبايَ ، وأوطاني
سقطت أوراقي عن شجر التينِ
وأغصاني
من لي ؟! من لي ؟!
من يوقظ خيلي في الميدانِ ؟

وبقيت وحيداً
يا من ليس له شطْ
أوَهَبْتَ النفطَ أَمِ السخطْ ؟
لم أدخلْ مدرسةً
لكني أمّحى الخطْ
أفتح عينيَّ على حِكْمتك المثلى:
" نِــعَمٌ

تَرَفٌ

قحطٌ "

وأرى نوحاً يعلو فوق الطوفانِ

بركانْ

ثارت حولي عاصفةٌ أخرى

في قلبي عاصفة الذكرى

الريح تحاصرني

ويحاصرني البردْ

في جسدي بردٌ ،

في روحي بردْ

جسدي يسند روحي

روحي تسند جسدي

منهارٌ يسند منهارا

ريحٌ. جسدٌ. روحٌ. بردٌ

أشعلت النارا

صوتٌ يتعثر في الظلمةْ
كسراجٍ مغشوشِ الزيتْ
-"النجدةْ ! .
النجدةْ !. "
يا أنتْ !
يا من أشعلتَ النارْ !
-من أنتْ ؟!
- خان العسكرُ، والحزبُ انهارْ
-من أنتْ ؟!
- ملكٌ فارْ !
-لصاً أو ملكاً كنتْ
جندياً مكلوماً أو مهزوما
إني لا أملك إلا النارْ

صياح الديك

مغنيةْ
أتمتْ غناءها ،
وصفّق الحضورُ بهجةً منها
لها
نضتْ ثيابها
وعانق النعاسُ رِمشَها
تَمَدّدَتْ
وانتظمت أنفاسُها
صاحَ
رَمَتْهُ بالحصى

في ليلةٍ ماطرةٍ وعاصفةْ
امرأةٌ قدْ وضعت وليدَها

صاحَ ،
وصاحَ الديكُ صيحتينْ :
" يا أمُّ : سمّيه الحسينْ "

طَلّ الضيوفُ
مرحباً
مرحى لكم
تفضلوا . تفضلوا
والديكُ زاكٍ لحمُه مُفَضّلُ
تفضلوا .تفضلوا
وصاح فرخُهُ الحزينُ مرتينْ :
" لا تذبحوني مرتينْ "
الليلُ ساجْ
والبدرُ في السماء تاجْ
ونجمةٌ مِبْهاجْ
أبو محمدٍ إمامُ مسجدِ المدينةْ

وإبنه محمدٌ مُؤَذِّنُهْ

توضّآ

ونجمةُ السما توضّأتْ....

جميعهم توضأوا

محمدٌ علا الدرجْ

والديكُ في أعماقه شعَّ الوهجْ

معاً ، معاً

نادى محمدٌ ، ونادى في الصياحْ :

" حيَّ على الفلاحْ

حيَّ على الفلاحْ "

إن الصياحَ دَيْدَنُهْ

لا ترجموه بالحصى

لا تنهروه بالعصا

فما غوى ، وما غفا ، وما عصى

إنَّ الصياحَ دَيْدَنُـــهْ
وعندما غوى أبو البشرْ
الديكُ صاحَ :
" يا صمدْ
يا واحداً ، ويا أحدْ "
وظل صاحياً وصائحاً إلى الأبدْ

الجرس القلب

خسرت في الشرق تجاراتي
حوقلت ، وأعلنت الإفلاسْ

قبل بزوغ الفجر،
رسول الوالي طرق البابَ :
" الدَّينَ ! الدَّينَ ! أبا عباسْ "

بقراتي ،
والماعز ،
والناقةَ بعتُ... وقايضتْ
واستبقيت الأجراسْ

في مدرسة الطلابْ
دقَّ اصطفوا
دخلوا
خرجوا
دق فناموا
دق أفاقوا

الجرس لحون تعزفها الشمسْ
تزجي الغيمَ ،
وتلقي الجمرْ

لا توجد في البيتِ
ولا في الشارع أجراسْ
فوضى
ريح مثقلة بالرملْ

صدر المرسومْ :
" من لا يحملْ يقتلْ

أثريتْ
عندي خمسة أجراسْ
سبق وزيران ،
وبنتا السلطان ، وزوجته
بعت بعشرة آلافْ
ولنفسي ما استبقيتُ
لأحمي الرأس من السيافْ

جن الليلُ
ومن بغداد إلى مكناسْ
جمع المحكومين اصطفْ
وانتفض السياف كزوبعة الصيفْ

وامتشق السيفْ
وَلَفَ البرق ، وقال :
" شقوا الصدر ،
الجرس القلبْ "

عبدُ الله

- ١ -

نشر الشاعر ديوانهْ
واحتار النقادْ
واحتار القرّاءُ ، وقالوا :
توجدُ صفْحاتٌ بيضاءْ ؟

هي أغنيةُ المحبوبةْ
آخرُ ما كتب الشاعرْ

عرض الرسام اللوحاتْ
صورةُ محبوبته ظلت محجوبةْ

واحتار الروّادُ ، وقالوا :
ظل مكانٌ شاغرْ ؟

تم كمال الكونْ :
شمسٌ وغروبٌ وشروقْ
مطرٌ وغيومٌ وبروقْ
نَهَرٌ وطيورٌ ونخيلٌ وظلالْ
قمرٌ وهلالْ
غاباتٌ وصحارٍ وجبالْ
وجمالٌ ليس يُدانيهِ جمالْ

توجد صفحاتٌ بيضاءْ ؟
ظل مكانٌ شاغرْ ؟
واحتار الكونْ
ويدُ المبدع لا تطلب عونْ
أمسكتِ الطينَ ، فكانْ

واشتعل الليلُ مصابيحْ
وارتفعت صلواتٌ وتسابيحْ
مرحى !
مرحى !
أغضى
أغمض عينيه ،
وحنى الرأسَ ، وقالْ :
أنا عبدُ اللهْ
عبدُ اللهْ

- ٢ -

النارَ ! النارْ !
أطفئْ !
أطفئْ !
واحترق البيدرْ

طوّف في الأرضِ ،
وباع التمرَ،
وشقَّ الصخْرَ ،
اصفرَّ ، اسمرَّ ، اغبرَّ ،
وجاء المهْرْ

أدعوكم - ولكلِ دعوةْ -
حكاماً ، محكومينْ
حُرّاساً ، ضُـبّاطاً ميدانيـيّنْ
شعراءَ ، وفنانينْ
حدّادينَ ، ونجارينْ

- مائةَ بعيرٍ أعدَدْنا
-لا تكفي ،
زيدوها ألفا
لـمْ يبقَ سوى القهوةْ

واشتعلتْ نارْ
أطفئْ ! .أطفئْ !
واحترق القصرْ

لـــمْ يبقَ سوى عبدِ اللهْ
وفتيً وفتاةْ
حُرِقتْ كفّاها
حُرِقت كفاهْ
سألتْ عيناها
سألتْ عيناهْ :
وحدهْ !
يشرب قهوةْ !
ما أبقاهْ ؟

لـــمْ يُعطِ الرشوةْ
للقاضي

والحارسِ

والحاجبِ

والشّاهْ

- ٣ -

أُميٌّ يرعى الغنما

لـــمْ يُمسكْ قلما

لـــمْ يفتحْ كتبا

وعصاه يهشُّ بـــها

تُسْقِطُ حِكَما

تعلو شهبا

ملكٌ لا يملك إلا عُبْدانا

أهدى غانيةً فستانا

لا يحجب ضوءَ الشمسِ

ولا يستر عريانا
غطّى نصف النهدِ ،
وخلّى الآخرَ ينشد ألحانا

خرج الشعبُ
كثُعْبان يطرد ثعْبانا
ملأوا الساحاتِ
اصطفّوا شيباً شبانا
فتيات ، فتيانا
وأياديهم تعلو
وحناجرهم تعلو
برقٌ يلمعُ
رعدٌ يقصفُ
والليلةُ عاصفةُ الأنواءْ
واصطرخوا :
يا أُختاهْ !
يا أختاهْ !

زيدينا طَرباً
زيدينا لهباً
زيدينا شجناً وغناءْ

عبدُ اللهْ
أمسك في الليلِ عصاهْ
أغلق تلفازَهْ
وتلوّى من ألمٍ في المعدةْ
أخذتهُ الرعدةُ ، صاحْ :
يا لَلْردةْ !
يا لَلْردةْ !
تلك – وربِّ البيت – جنازةْ

– ٤ –

كان من الصحب خليلاً ورفيقا
ما كان من الطُّلَقاءِ طليقا

أمَّـــنْتَ – صلاةُ اللهِ ، سلامُ اللهِ عليك – الناسْ
من أغلق بابهْ
من دخل البيتَ ،
وبيتَ أبي سفيانْ

البيتُ أمانْ
والكل يدورْ
القمرُ ، الشمسُ ، الأرضُ ، العمرُ ،
الكل يدورْ
موجاتٍ موجاتْ
يسمو النورُ ،
ويفتح حصنَ الديجورْ
يخبو
ينهض من كبوته الآخرُ ،
ينطفئ النورْ
والبيتُ هناك . البيت أمانُ . البيتُ بعيدْ
وهنا عبدُ اللهْ

وهنا من يولد للقتلِ ،

ويشرب للقتلِ

وينفث قتلى

ويدخن قتلى

- من أنتَ ؟

-سليلُ اللهِ !

الناسُ عبيدي

وأنا المختارْ

- من أيةِ طينْ ؟

-عرشي القتلى

البيت هناك . البيت بعيدُ . البيت أمانْ

وهنا عبدُ اللهْ

لـــمْ يُغْلقْ بابهْ

لم يُخلفْ أصحابهْ

لم يدخلْ أبوابَ السُّفيانيّينْ

وهنا عبدُ اللّه
يطرق بابَ اللّه
صلّى الصبحَ إماما
وعشاءً صلى في عِلّيّينْ
صار من الأصحاب خليلاً ورفيقا
ومن الأبرار الصّدّيقينْ

- ٥ -

جاء القيصرُ
جاءْ !
صمتاً !
صمتاً !
يا أبناءْ !
ولْتُـــغْلَقْ كل شبابيك الدارْ

ولْتُسْدلْ كل الأستارْ
جاء القيصرُ
جاءْ !

ضرب الأرض بعكّازهْ
جفلت أشجار الجارْ
خلف الباب تنحنحَ
هبّ حمامُ السطحِ
وطارْ
برم الشاربَ
والتفّ كما الإعصار يَسارْ
-أين سناءْ ؟
-ذَ... هَـــبــــَـ... تْ
-لا !
لا !
واشتعلت نارْ

من صرخته شاب الليلُ
وفي غرّته قمرٌ
قمرٌ في غرّة عبدِ اللهِ وإخوته
وتوارى خلف الباب صغارْ
والــــهار من القلبِ جدارْ

- ٦ -

بستانك لم يُثمرْ
وهززتَ الأشجارَ ، فلم تسقطْ ثـــمَرَةْ
وهززت القلبَ ،
بمرآتك وجهَكَ أبصرتَ ،
أتخفى فقرَهْ ؟

أنت العاشقُ
مَزِّقْ سترهْ

وافضحْ سرّهْ
وانثرْ درّهْ

وجوادٌ أبيضُ يلمع وسط الظلمةْ
اقترب من الحصن ،
ترجّل عنه الفارسُ
أزجى للحارسِ صُرَّةْ
فتح البابَ
ومرَّ من السرداب إلى القصرِ ،
وغمغمت الطير ، وأُطفئت الأنوارْ
وجوادٌ أبيضُ يلمع وسط الظلمةْ

وغبارُ طريقك ثعبانٌ يتلظى
وحصى نـــهرك سجانٌ
يفرك كفيه ، ويحفر قبرَهْ
وذويتَ
كما تذوي بالملح الشجرةْ

أنت العاشقُ
تعرف نـــهركَ،
تعرف منبعه وسماهُ وتمرهْ
هُزَّ القلبَ ، وهزَّ النهرَ
بمرآتك تُبصرْ وجهَك :
من بحر العشق ملأتَ الجرّةْ
والفارس سقطت منه القطرةْ

الفارس حبةُ رملٍ
تذروها الريحُ ،
وأنتَ
وأنتَ
الصخرةْ

- ٧ -

" أنا عبد اللّه
ولدُك يا أبتاهْ "

أذكرُ
كنتُ صغيراً
كان النهر فراتْ
روّى قمرَ الليل ، وروّى النجماتْ
خضراءُ سماؤكَ
خضراءُ هي الغيماتْ

أذكرُ
تمسح رأسي
تُسقيني كأسي
والنهرُ فراتْ
روى الضيعاتْ
وقلوبَ العشاقْ
رمانٌ وقطوفٌ وتمورٌ
تملأ كل الأسواقْ
خضراءُ بلادك خضراءُ

وقال التاجر للتاجرِ :
يا جارُ سلامْ

وتنير – إذا طرق البابَ الليلُ – سراجْ
وسريري من عاجْ
وثلاثتنا كنا في المقصورةْ
أمي وأنا
ولنا كنتَ لنا
تروي الأسطورةْ
شفتاك وعيناك تبوحانِ
تهدهدني
فأنامُ
وفي عينيَّ هديلُ حمامْ

كنت صغيراً
أذكر
فاض الماء عن العتبةْ

غطى الشفتين وغطى الرقبةْ
حشرجت النخلاتْ
وتنهدت النجماتْ
ويداك جناحانِ بلا ريشٍ
ومدَدْتَ يديكَ
-أنا عبدُ اللهْ
ولدكَ
ألقيتُ إليك الخشبةْ
أتكون نجاةْ ؟
أتكون حياةْ ؟

سجّوكَ وغطوك وساروا
وسألتُ :" متى يأتي" ؟
وبغيبتك صنعت لوجهك تمثالْ
كنتُ أُناجيه ، وماكان يبوحُ
وكان يُداهمني زلزالْ

غاض الماءُ ، وظل الملحْ
ورست روحي فوق السفحْ
والسفحُ ضريحْ
وأنا عبد اللهْ
ولدك يا أبتاهْ
أغدو وأروحْ
أذكرُ
أذكرُ
وسريري اليوم زجاجْ
تُهديه الريحُ إلى الأمواجْ
والبحرُ أُجاجْ



سماء الفرات

صيف ٢٠٠٣

سماء الفرات

١

الرمح في قلبي انغرسْ
دمي انبجسْ
وحشرج الكلام في الهلالِ ،
والنَّـــفَسْ

*

وبيننا مفازةٌ ...
مفازةْ !
مليئةٌ بالشوك والقتادْ
والموتُ كالجواد منتصبْ
ليحمل الأطفالَ في إجازةْ

٢

أرى الفراتَ في البعيدْ
يريدُ ما أريدْ
وواحةٌ كبيرةْ
كأنها جزيرةْ
وظلها قمرْ
وفيؤها وترْ
تريد ما يريدْ

٣

أسمعُ من بعيدْ
همسَ الفراتِ في الغسقْ
فأفتح المدى
أمدّ ساعديّ نخلتينْ
أدنو وألتصقْ
بظله

كأنني الشهيدْ
يسمع من بعيدْ
همسَ الفراتِ في الغسقْ

٤

وينهض النعاسُ في عينِ الأميرةْ
ويشعل البخورَ
يرتدي السوادَ
يرتدي البياضَ
يعلنُ الحدادْ
وفي العيون يلتبسْ

٥

نادى الفراتُ من بعيدْ
سأحزم الحقائبا
سأهجر الأقاربا
*

أجيء ، يا فرات ، في الصباحْ
أجيء دونما جناحْ
أجيء كالبروق ، كالشعاعْ
أجيء دونما قناعْ

*

أجيء ، يا فراتُ ، إنني أجيءْ
وعقربٌ هنا يضيءْ :
ستمخض الغبارْ
ستخبز القفارْ

*

أجيء ، يا فرات ، إنني أجيءْ
والليل لا يضيءْ
وأنت يا عكاظْ
تعود يا عكاظْ
يا سوقَ طَرْفةٍ وعنترةْ

ومكةٌ تغير الوعاظْ
وتسريحُ
تحت جنــزيرِ المجنــزرةْ

٦
وفي يدي جرسْ
سويتُه من المياه والرمادْ
سويته من الحياة والجمادْ
وعندما تدفق الطوفانْ
وعمّ بعده الجرادْ
أخفيته عن العيونِ والحرسْ

٧
أبحرتُ في التاريخ ؛
زورقِ الورقْ
أبحرت في الحاسوبِ

كدت أحترقْ
أبحرت فيَّ ساعةً
أيقنتُ أنه الغرقْ
والكأسُ من يدي اندلقْ

٨

وصلت يا فراتْ
أنا المضيءُ والمعفّرُ
- أين الإمامْ ؟
- رأيته يسافرُ
وحوله السيوف والرماح والخناجرُ
خوارجٌ تزمجرُ
كالصخر تهدرُ
تعلو وتطمرُ :
" الكافر المكفرُ "

وشيعةٌ تستغفرُ :

" هو الإله الأخضرُ "

من تائبٍ لنافرِ

من غائبٍ لحاضرِ

من جاهلٍ لعارفِ

من سارق المصارفِ

*

وكنت لابْـــن ملجمٍ شبيهْ

وسيدي الإمام ، كنت أصطفيهْ

أجلسني

وصبّ لي كأسَ اللبنْ

وقال لي :

أنظرْ إلى الكفنْ

وحشرج الكلامُ في الهلالِ

والنفسْ

سألت : يا إمامْ

أبعدها يغازل الرمشَ النعاسْ ؟

- خشيت أن أظل دونما لباسْ !

-

٩

أنا الفراتُ ...

والفراتُ في عروقي

دمٌ يبوح لي بسره الدفينْ

من عهد نيرونَ إلى رأسِ الحسينْ

بين يديَّ يزيدْ

يصيح أو يئنُّ

يستغيث أو يحنْ

لشربةٍ من الفراتْ

*

أنا الفرات والسلامْ

أدخلني الفرات في السجانْ

زرعت في عينيه نخلتينْ

تصدّعت جدرانُ سجنه

ورفرف الحمامْ

١٠

أريد ما يريدْ

أيتها الفلاةْ :

لا تأخذيه للبحارْ

لا تسرقيه من يدي

لا تسلبيه قبلةَ النهارْ

فإنني من طميه أقتاتْ

١١

- عرّجْ على بغدادْ

- ليس لنا ميعادْ

-عرجْ ولا تخفْ

سنترك النجومَ تحرس الضفافْ

سنترك الأولادَ يحرسونَ

فِي الغدِ الأحفادْ
ستترك الميلادَ للميلادْ

*

بكى الفراتُ وانتحبْ
وماؤه الدموعْ
وكسَّر الضلوعَ قلبُه
وطار كالكرةْ
- من هذه العجوزُ ؟
ذاتُ الأرجلِ المشلولةْ ؟
تفترش الهجيرَ في تموزْ ؟
من هذه المعلولةْ ؟
بكى الفرات وانتحبْ
- أتسعلينَ ؟
- آخرَ النهارْ !

١٢

يا أيها الفراتُ غيّرِ النشيدَ
واعلُ عالياً وكنْ
أعلى من السماء والكفنْ

كان الرشيدُ كالمسيحِ
يسقط النجومَ بالعصا
يخاطب الغيومَ :
سافري ...
وأمطري
سيأتيني الخراج أينما أمطرتِ

هارونُ قد ألقى سلامهْ
كان الهلالُ فوق رأسه العلامهْ
عرفـتُه
وقلتُ : يا حمامهْ !

بالله يا حمامةْ !
رُدّي له العمامةْ
وظلليه كالغمامةْ

هارونُ ، يا هارون ،
يا روحَ الجسدْ
عاد الرمدْ
واندقّ في العيون كالوتدْ
وعادت البرامكةْ

١٣
يا أيها الفراتُ غيّرِ النشيدَ
واعلُ عالياً وكنْ
أعلى من السماء والكفنْ

يا فرق التفتيشْ
ستسقط النجومْ

ستسقط الغيومُ
من فم البغال كالحشيشْ

في هذا العصرْ
أجهضت الأم الحَمْلْ
في هذا العصرْ
وضعت فرق التفتيشْ
صئبان القملْ
في شعر الحاوي
في ثوب الدرويشْ
وتغير لون البحرْ

أهذي قبل غروب الشمسْ
أهذي في الليلْ
ويهاجر مني

فيّ ، إليّ رسولْ

أهذي وأقولْ :

يا جبرائيلْ

يا عزرائيلْ

بلدي قمر مشلولْ

يسقط في كف الغولْ

أهذي

أهذي في قاع الجبْ

يا من أحببتُ ،

ويا من سوف أحبْ :

أحياءُ وأمواتُ العُرْبْ

قشرةُ بطيخٍ

ملقاةٌ فوق الدربْ

أهذي

أهذي...

تتفتح لي أبواب الغيبْ

وفراتي لا يخشى الصلبْ

١٤

يا أيها الفراتُ غيّرِ النشيدَ

واعلُ عالياً وكنْ

أعلى من السماء والكفنْ

وأومأ الفرات لي

عرَفْــتُه

هذا أبو نواسْ !

في المسجد الكبيرْ

نادى الحصى

نادى الشجرْ
نادى التراب والحجرْ
نادى البشرْ :
فلنمسك الفئوسْ
ولنكسر الكئوسْ
ولنرفع الرءوسْ
ولنرفش الغيومْ
كي تسطع النجومْ
ويسقط المطرْ

وأومأ الفراتُ لي :
- " عَرَفْــتَه ؟"
- هذا أبو تمامْ !
دنوت منه ، فابتعدْ
أمسكت غيمةً
قذفته
وظل يبتعدْ

*

في مسجد الإمام ألقى موعظةْ
صليت خلفه العشاءَ والظهيرةْ
أنهى الصلاةَ بالسلامْ
وامتشق الحسامْ
وصاح فيمن خلفه من الصفوفْ :
أين الرماح والسيوفْ ؟
(" فالسيف أصدق إنباءً من الكتبِ
في حده الحد بين الجد واللعبِ")

١٥
يا أيها الفراتُ غيِّرِ النشيدَ
واعلُ عالياً وكنْ
أعلى من السماء والكفنْ
قد تستسيغ معدتي الجثثْ
وقد أجيز مرةً
وطءَ النساءِ في الطمثْ

لكنني
أقيئ من بوعده نكثْ

بين ظبى الرماح والخرافةْ
أمتد كالفراتِ
من بعقوبة إلى الرصافةْ
أطوف كالعراف والعرافةْ
أقوّم الخلافةْ
وأنفض الرمادَ عن وجه الخلافةْ
وأقتل الخليفةْ
حتى يعودَ ابْـــنُ أبي قحافةْ

١٦
يا أيها الفراتْ
يا واهبَ الحياةِ للنباتْ
يا سيدَ الأحياءِ والأمواتْ

أعيد ما تعيدْ
فغير النشيدَ واعلُ عالياً
أعلى من الوثنْ

الريح تحمل الحصى
وترجم البيوتَ والجبالْ
والبحرُ يملأُ السماءَ
بالدخان والرمالْ

تكسرت أعمدة الضياء والشجرْ
تعطل المسيرُ
والقطارُ في الوادي انزلقْ
والكأس من يدي اندلقْ

١٧

يا أيها الفراتْ

يا أيها الصهيل في دمي

وفي الساحاتْ

يا أيها الطهور والبتولْ

أقول ما تقول يا رسولْ :-

يا من يجيء من النجوم رسولا

أتقيم من هذا الرماد نخيلا ؟

وإمارةً ؟

وأكون فيها — سيدي — الملك النبيلا !

١٨

يا أيها الجليل والوقورْ

يا أيها الصائم والصبورْ

يا أيها الجسورُ :

إنني أثور دائماً

لأجل من تثورْ
وإنني أزور من تزورْ
أزور دائماً أبا ذرْ
أزوره في مكةِ
وفي غِــفارْ
أزوره عند الضحى
وآخر النهارْ
وأقطف الثمار من نخيله
وأملأ الجرارْ
معنى اللهيب والشرارْ
من سيفه
وأسقط القناعَ عن وجهي المعارْ
والمستعارْ
وإنني أثورْ
لأجل ما يثورْ

١٩

ودعني عند المصبْ
مصبه – شط العربْ –
بكى
بكيتْ
وكنت أضطربْ
والرمح في قلبي انغرسْ
دمي انبجسْ
وفي يدي الجرسْ
وعدتُ أدراجي :
أنا النخيلُ
أنا الهلال والرحيلُ
أنا الصهيل والخيولُ

يا كل عصفورٍ رآنا في المسا معاً
يا كل منديلٍ رآنا كالندى معاً

يا كل قنديلٍ رآنا في السمرْ
يا كل أحفادي
ويا كل البشرْ :
أنا النهرْ
هذا أنا أبوح سره
وبعده أحطم الوترْ

بكى
بكيتُ
كنتُ مضطربْ
بكى
ولن أطلي انهزامي بالذهبْ

والنيل لاقاني
وكان طفلْ
يداعب الفراشَ
يمشي في الحقول والوحولْ

ولا يسير خلفه عند الزوال ظلْ
كأنه في الليل ليلْ
كأنه إسطبلُ خيلْ

بكى لحالي واشتعلْ
لحاله
رثيت واشتعلتْ
قال ، وقلتْ :
إن الحضارةْ
دماملٌ
والعُثُّ فيها صاحب الصدارةْ
وما بها بشارةْ
والموت صاحب الخفارةْ
والموت
سيد الإمارةْ

٢٠

يا أيها الفراتُ مُرْ
فوق جسور الشعرْ
وغير الدواةَ والورقْ
وغير السماءَ والزمنْ
وغير الهواءَ
واعلُ عالياً وكنْ
أعلى من القضاء والقدرْ

أوتار النخيل

١

النهر ملحٌ أسودُ
إن لم يكنْ
في كفه المهندُ

٢

ابتعدوا
لا تلمسوهْ
لا تشربوا من مائه
لا تسبحوا
لا تنظروا إليه ، واتركوهْ
في الليل للذئابْ

في النور للذباب نازفاً جريحْ
لا تلمسوه ، واتركوه دونما ضريحْ
كي لا تدنسوهْ
لأنكم أسلمتموهْ

٣

يا أمسنا الحزينْ
يا يومنا الحزينْ
يا غدنا الحزينْ
فقْ ، واسْـــتَفِقْ
وسيفَكَ امتشقْ
قد بدأت حطينْ

٤
ما هذا الدمْ ؟
من هذا المقتولْ ؟

ذو الطولْ
مليون قدمْ ؟
- كيف نسجيهْ ؟
- احتطبوا أشجار الأرضْ
- كيف نكفنه ؟
- هاتوا كل عمائمكمْ
كل عباءات الشرقْ
وثياب النسوة والفتياتْ
- كيف نواريهْ ؟
- أهدوه إلى أطفال فلسطينْ
وابقوا في الصحراء بلا ظلْ
عارينَ وظمآنينْ
أو بيعوه بكيس طحينْ
وابقوا تحت الطين الطينْ

٥

دماؤنا فوق التراب ماءْ

عقولنا

ترى السرابَ في الظلام ماءْ

إن لم تكنْ دماؤنا دماءْ

إن لم تكنْ عقولنا سماءْ

إن لم تكنْ سيوفنا سيوفْ

نظل آخر الصفوفْ

بين الأممْ

نظل في العدمْ

٦

بالدّلْسِ أو بالوَلْسْ

بالسنتِ أو بالفلسْ

بالجهرِ أو بالهمسْ

بالشم أو باللمسْ
دخلوا هنا
دخلوا
وتبقى الشمسْ
في كفه كالترسْ
تحمي المنى والنفسْ

٧

أنا والفراتْ
أمٌّ وطفلْ
أنا والفراتْ
وترٌ وريشةْ
أنا والفراتْ
جسدٌ وروحْ
أنا والفراتْ
للروح روحْ

٨

أَعرفتَ السلطانْ ؟
- من وهران إلى عمانْ
من صنعاء إلى بيروتْ
طاغوتٌ يلعن طاغوتْ
والشعب توابيتْ
تتزَّيا بالريحانِ
وبالياقوتْ

٩

يقول النخيلُ :
إذا الأرض — أرضي
تزغرد للفاتحينْ
فإني سأعلن رفضي

وحربي على الأولينْ
والآخرينْ

يقول النخيلُ :
إذا الأرض — أرضي
تمد يديها
لمن جعلوها إلهً سجينْ
سأعلن للعالمينْ
إليها :
أيا أرض لا تحملينْ
وإن كنت بي تحبلينْ
فاوعديني جنينْ

يقول النخيلْ :
يا نخيل العراقْ
اخترعت حروف الكتابْ

وأقمت البراقْ
واليوم ، أهدوك جلد الغرابْ

يا نخيل العراقْ
أمد يديّ إليك
فمدّ يديك إليّ
لنكمل هذا العناقْ
أمد عيوني
أمد دمي رايةً وجسورا
وكلي بروق ، وكلي اشتياقْ

يا نخيل العراق : اعتنقني
واعتنقْ نار شعري وديني
فكل دياناتهم – بعد ديني – نفاقْ
يا نخيل العراق : اتخذني
شراعاً وعيناً وساقْ
لننهي السباقْ

أوتار شرقية

١

أمريكا
امرأةٌ تدهن ثدييها
بالكبريتِ ، وزيتِ الليلْ
تتهيأ منذ ولادتها
تنتظر الفحلْ
تقفز من صحن البيتِ
إلى السورِ
تطير غيوماً
زرقاءَ وحمراءَ
يفاجئها تحت القمر الأبيض نسرْ
تهوي يتلقاها البحرْ

٢

في شيكاغو
في مقهى شيكاغو
أجلس وحدي
أتملّى في فنجاني لحدي
جاري يطلب ولاعةْ
يشعل غليونهْ
ينفضه في كفي
أنفضها
يفقد أقمارهْ
ويقال : صراع حضارةْ

٣

في أوهايو :
الفارس والقصرْ

يأتي الشرقُ إليهِ
فراشاً مشتعلَ الجمرْ
مكشوفَ الرأسِ
ومكشوفَ الصدرْ
تُغلق أبوابُ اللهِ
وأبوابُ الناسِ
وأبوابُ القبرْ
ويعود فراشاً
يلهث فوق البحرْ
ورمادَ دخانٍ
محنيَّ الجبهةِ
مكسورَ الظهرْ

٤
باض الضبع على الأشجارْ
والحاسوب أعاد الفتق إلى الرتقِ

ليفتحه بمفاتيح النشوة والشهوةِ ،
ثم تغلغل — كالبرق ، وإكسير الخلد — بأنوية الأمطارْ :
للحكم شعارٌ ؛
فيل وحمارْ
والسوق الكبرى لكبير التجارْ
والكون صحارٍ ، وأنا الخصبْ
وأنا الجد . أنا الإبن . أنا الأبْ

يا سيد ؛ يا من بالعرق الصاهل ربيت الأحجارْ
ألم النسغ قبيل نضوج الأثمارْ
يرثيكَ بفيكَ ، وترثيه بفيهْ — :
صوّرْ صوتي.
لون عيوني.
وهمي .
نومي...
وسلالمَ أصنعها من سهري

كي ترتاح عليها الشمسْ
وخرافٌ وصغارْ
صورٌ لي الأمسَ ، وصوري — الآن —
لغدٍ يمحوه
كما تمحو الفوضى ؛ موسيقى الغاز - الأشعارْ

٥

في سفن كريستوفرْ
الشعب المختارْ
والبشر الأطهارْ
وقفوا قرب الساحلْ
وهنود أغيارْ
حمرٌ
كحفيف الأشجارْ
وأكاليلُ الغارْ
في جيدِ الأشعارْ
لهفي !
صاروا في سرج الغيم غبارْ

٦

أمريكا حبٌّ مثقوبْ
يقذف ليلَ نهارْ
غيلاناً وتماسيحْ
تجري بالمقلوبْ
دولاراً يتبع دولارْ
تملأ أرضَ الله سُعارْ
وتباريحْ

٧

أمريكا مصنعْ
أمعاءٌ لا تشبعْ
جدرٌ لا تسمعْ
تقلع ما نزرعْ

٨

أمريكا فوق المريخْ

بالذرةِ والصاروخْ
ودماءِ التاريخ

٩
أمريكا
وترٌ مكسورْ
وترٌ مبحوحْ
وردٌ أو درٌّ منثورْ
في لهب التنورْ

١٠
أمريكا طبلْ
يمتصّ الليلْ
ويسافر في المجهولْ
وصديقي لو كان جهولْ
ما كان يقولْ :

لا يوجد ليلْ
لا يوجد فيها تحت الشمس نهارْ

١١
الأسودُ لون العارْ
والأبيضُ لون النارْ
في البيت الأبيضْ

١٢
حجرٌ تمرضْ
جسدٌ يُنقضْ
البيت الأبيضْ

١٣
البيتُ الأبيضُ تحت الشمسْ
والأرضُ سفينةْ

الطاعونُ شراعْ
والمجدافُ اليأسْ

١٤
لا يعرف ألوانَ الطيفْ
لا يفهم إلا لغةَ السيفْ
البيت الأبيضْ

١٥
أبرهةُ الأشرمْ
اختط النهجْ
وبنى كعبته للحجْ
والطير احتجْ

١٦

من ذل ومن عزْ :

في أيلول انكشف اللغزْ –

العرشُ اهتزْ

أوتار السواد

١

تماثيلُ محشوةٌ في القصائدْ
لساحاتها دمنا مرقٌ وموائدْ
بمحرابها لن أصلي
ولن أستظل بأفيائها
ولن أرضع الطفل من ثديها
ولن أسقيَ الحقل من مائها

٢

ليس عندي جريدةْ
ولا ورقٌ ومدادْ

لأقول الحقيقةْ :
من أثينا وروما وبابلْ
لا تطل عيون الأيائلْ
بل تطل الذئاب الأوائلْ
والذئاب الجديدةْ
بثياب الوداد العتيقةْ

٣

الأساطيرُ في جنتي ذابلةْ
ورقٌ يابسٌ قرب نهري
وفي كتبي ، وقصائد شعري
جثثٌ داكنةْ
رممٌ هامدةْ
لن أقيم السماء على رمشها
لن أطيل الوقوف على رمسها

٤

لا أحب الأساطيرَ ؛
إن الأساطيرَ نايُ الخطيئةْ
وقناع القلوب المضيئةْ
مسجىً
على شعرها القمرُ
ومن جفنها الليلُ ينحدرُ

٥

أخيلُ وراما وأنكيدُ كانوا
وكنا هنالك ننتظرُ
في سماء النخيلِ النخيلْ
وفي دمنا وترُ
قد رآنا سوياً

أنا وحماراً وفيلْ
نغيِّبُ في شجر الأرخبيلْ
ونسكن مقبرةَ المستحيلْ

سأكتب

سأكتب من غير وزنٍ ولا قافيةْ
لأن النجومْ
لا تشع البهاءْ
ولأن القدمْ
لم تزلْ حافيةْ
ولأن الدماءْ
لا تضيء عيون النساءْ

سأقطع بعض الأصابع هذا المساءْ
لأكتب من غير وزنٍ ولا قافيةْ
وكتابي السحابُ
وحبري الهواءْ

يقول صديقي

يقول صديقي :
النبيذ الفرنسي يصبي
ويسبي
ولا أشتهيهِ

الدروب تضيق

لقد شنق العنكبوتْ
غصونَ الشجرْ
والدروبُ تضيق ، تضيقْ
وتغدو ثقوبَ إبرْ
والأرض قافلةٌ من سعالى
في طريق الذهبْ

وقافلةٌ من بقرْ
تسوق البشرْ
إلى ثورها والحجبْ
لتبنيَ عجلاً جديداً ،
وناطحةً للسحبْ

أرى

أرى ملكاً نازلا
وثناً صاعدا
وأرى تاجراً ، وبقايا عربْ
وأرى شاعراً ساهماً
كوجوه السبايا
طعنوه ، وقالوا : انتحرْ



أبو لهب

أبو لهبٍ كان عمَّكْ
بالشوك يملأ دربكْ
يسفّه حِلْمَكْ
أبو لهب صار عمي ،
وصار أبي ، وأخي ، صار جاري
وقاضي القضاةِ
يعلمني كيف أشعل في البرد ناري
ويفرش سجادتي
ويقيم صلاتي
أبو لهب بائعٌ للخضارِ
وسائقُ مركبتي وقطاري
أبو لهبٍ حاجب للأميرِ

أبو لهبٍ بهلوان الوزيرِ
نديمٌ لزوجاته
ويربي لهن القططْ
ويعد الخططْ
لميلادِ عصرِ احتضارِ

سأحتاج تسعين ألف مسدْ
وتسعين ألف وتدْ
ومليون طن حطبْ
سأنفض عن شفتي غباري
وأنفث من رئتيّ أُواري

فيا خيل ، صيري بروجا
وطيري عروجا
وأعطي النخيلَ
شموس النهارِ

بـنـيـنـا

بنينا ثلاثين مليون جامعْ
ونحن ثلاثون مليون جائعْ
و لم يزرعِ الأرضَ منا مزارعْ
لذا ستحور الجنان بلاقعْ
ويختبئ البرق — كالفأر — تحت الصوامعْ



لمن الغلبة

لمن الغلبةْ ؟!
ياشمس الحب التربةْ
يا مرآة النفس التعبةْ
ذاك حبيبٌ
طوّحه هدبُ حبيبٍ...
في الغربةْ
يكتب بالبصرِ
ورمادِ النظرِ :
الغربة موتٌ يتدحرج كالحجرِ
وجرادٌ يكنس أوراق الشجرِ

يا شمساً تتزيا بضباب القمرِ :
انتثري .
وانتظري
ديدانَ الأنفاقِ

وحيتانَ الضجرِ
غيبي في الغربةْ
وانتحبي ، وانفجري ، واندثري
يا مرآة النفس المحتجبةْ
غيبي .
ودعي أحلامَ صباهْ
وصلاةَ رؤاهْ
سهماً في قلب حمامات سماهْ
أو ملكاً في عاصفة القدرِ

أخي

أخي يا بن أمي :
ألا انظرْ بعيدا
ألا انظرْ قريبا
فثمة سهمٌ هناك انطلقْ
تُراه رماني ؟
تراه رماك ؟
تراه رمانا سويا ؟
أتبكي عليّ ، أأبكي عليك ،
أنبكي على بعضنا ؟
أخي يا بن أمي
أبياً عرفتك دوما
فكيف تقبل فاها
عليك ، عليّ بصقْ ؟

لكما قنديلانْ

لكما قنديلانْ
قنديلك من عرق الجبهة يشتعلُ
ولها قنديلْ
في قبعة الشيطانِ
يقيم ويرتحلُ

مهجرك الحي

يا جبران بن خليلٍ
يا جبرانْ
يا عاشق ميّْ
أكتبْ ، وارسمْ
كن شاعرْ

كن تاجرْ
عاشرْ شقراوات المهجرْ
يا سورَ مدينتنا ، والحارةِ
يا سور الحيّْ :
أكتبْ ، وارسمْ
بيروتَ وصنعاءَ
فمهجرك الحيّْ
وبلادك قرب النهر الطميّْ

ذاك الجبلْ

ذاك الجبلْ
بعينيَ انجبلْ
بالدمع والأملْ
والحبُّ كل شيْ

وفي شفاهي يابسٌ
وفي الرئةْ
وعمره تجاوز المائةْ
و لم يزلْ صبيْ

يسير خطوة

يسير خطوةً إلى الأمامْ
إلى الوراء خطوتينْ
ويرسم الظلامْ
على جداره العتيقِ
بسمةً ودمعتينْ
ويطفئ الحريقْ
والبحرُ في وئامْ
يطرز الحمامَ والغمامْ
على جبينه بلا يدينْ

كآبةْ

كل أشجاري كآبةْ
وعلى الأرض ذبابةْ
ترتدي الأفق عباءةْ
وتغني كسحابةْ :
يا حبيبي ،
إجعل الليل ربابةْ .

طومار الإعدام

مملوءاً ، مسكوناً ، متشحاً ، ممتزجاً ،
معجوناً ، مجبولاً بلهيب البركانِ ،
وعاصفة الطوفانِ
وآياتِ القرآنِ ،

وعربدةِ الشيطانْ
أصدر حكماً بالإعدامْ

باسم الشهداء المنسيين على الشرفاتِ
المهترئين على الكثبانْ
باسم طنين الروح ، وترجيع الطينْ
باسم الوتر الحافي القدمينِ
الدامي المعصمْ
باسم ثكالى الأرضْ
باسم الحيتان ، وأسماك القرشْ
باسم القادم في النعش ؛ الراحل في النعشْ
باسم الفجر ، وباسم القبرْ
باسم الشرق ، وباسم البرقْ
أصدر حكماً بالإعدامْ
ولْيُعَدَمْ كلُّ العسكرِ ، والضباطِ الميدانيينَ ،
وأركانُ الحربْ

وليعدَمْ أعضاءُ الحزبْ
وليعدمْ هذا الشعبْ
المبتهج بطعنِ القلبْ
وليعدمْ من دخل من الشباكِ ،
ومن سجد على عتباتِ الأصنامْ
وليعدمْ هذا القائدُ
ولينتظر القادةُ والقوادون الإعدامْ
وليعدمْ من عبأ أو خبأ أسلحةَ التدميرِ الشاملِ ،
وليعدمْ هذا الحاوي
وليعدمْ هذا الدرويشْ
ولتُعدَمْ فرقُ التفتيشْ
وليعدمْ من أخذ ومن أعطى البقشيشْ

ولْيَعْدِمْ دجلةُ نَخَــلَهْ
وليُعدِمْ كلٌّ منا ظلَّهْ

وليعدمْ من لوح بيديه إليه ، في الأمس ،

وبرّح بالجسدِ وبالروحِ ، اليومْ
وليعدم من صفق ، واليوم ، تسلق جُذُرَ الغيمْ
وليعدم هذا الظلمْ
وليعدمْ
ولتسقطْ كل شوارعنا
من بغداد إلى مكناسْ
فوق الراسْ
ولتعدمْ هذي الشمسْ
ولتعدم هذي النفسْ
إن لم تصبحْ قوسْ
يقذفنا في الفردوسْ
أو في أعماق جهنمْ

هذا هو طومار الإعدامْ
إعدامي ؛
إعدام جميع الأزلامْ

وحقائقِ عصري ، والأوهامْ
ممهوراً بالصورةِ ، والصوتْ
وعناكبِ أسرارِ الموتِ
وبصْماتِ الإحدى والعشرينْ
والزمن : القرنُ الحادي والعشرونْ
وليحيَ الحقْ
وليحيَ الحقْ

الأحد ١٤/١٢/٢٠٠٣



فــي رحــاب هنادي

٢٠٠٣



في رحاب هنادي

{ إلى هنادي تيسير جرادات }

-١-

قلمٌ

لم يهز السماءْ

ويدٌ

لم تلوحْ لها

قلمٌ فاجرٌ ، ويدٌ فاجرةْ

*

لأرواحنا تقرأ الفاتحةْ

وابن الوليد يسرّح خيلَهْ

ويبني لجثته مقبرةْ

*

هنا كانت البارحةْ

هنادي

وعبلةُ
من بيتها طردت عنترةْ

-٢-

هنادي اصعدي .
واصعدي
من رماد الحمائم والياسمينْ
وأنين القلوبِ
ومرضى القلوبِ
وموت الجنين مع الوالدةْ
على باب مشفى الولادةْ

*

إصعدي فوق سر الخرافةْ
فعيناك فوق الأساطير ، فوق المدى ، برج نارِ
وفوق غيوم المدائن إكليل غارِ
اصعدي

ودعي عنك سجن اللطافةْ

اصعدي

لا تطيلي الضيافةْ

- ٣ -

بعينيك أقرأ دور المعارفْ

وأسمع تحت القدمْ

أنين إله الندمْ

وإله الألمْ

وحساب المصارفْ

وتيجان كل الزواحفْ

- ٤ -

ماذا تخط الصواريخ في كتب الشهداء ؟
وماذا يقول رصاصُ البنادقِ والمدفعيةُ
والطائراتُ وأجهزةُ الرصد للأبرياءْ ؟

وماذا تقول الضحيةْ ؟
وماذا يقول لها ولنا الأنبياءْ ؟
-ليس لكم فوق هذا التراب سماءْ
ولا في عيون النساء بهاءْ
فشدوا السماءَ إلى أرضكم
واجعلوها تراباً وماءْ
واجعلوا دمكم للسماء رداءْ

- ٥ -

هنادي تحدق في كفها
وتصغي إلى صمتها
من يناديك خلف الحدودْ ؟
وكيفَ
ومن أين تأتي إليك الردودْ ؟
ومن يحقن الآن فيك الرعودْ ؟

ويجلو البصرْ ؟
ويزيل السدودْ؟
- قمر في شفاه عمرْ
وصيحته إذ ينادي بها ساريةْ

-٦-

هنادي تبيع الربيعْ
تبيع النجيعْ
تبيع الثريا
تبيع أساورَها والخواتمْ
تبيع الشهادةَ والمحكمةْ
تبيع المراتبَ والأوسمةْ
تبيع الهدايا . تبيع المرايا
تبيع ثيابَ الزفافْ
وسهافَ النياقِ العجافْ
تبيع الضفافْ

تبيع الثرى ، وتبيع القرى ، وتبيع الذرى
والكحلَ والعطرَ والحلمَ الأخضرا
والملاحمَ والشعرَ والقافيةْ
تبيعُ
تبيعُ
ورب الجنود اشترى

- ٧-

بدأ المهرجانْ
بلا ترجمانْ
وألف لغةْ
وليس يدل على الشهداءْ
سوى لغة الشهداءْ

بدأ المهرجانْ
بلا ترجمانْ

وقيسٌ لليلى
وليلى لمن بعد قيسٍ ؟

بدأ المهرجانْ
وشمر عن ساعديه المكانْ :
بهذا النشيد البريء الوضيءِ
بهذا الدوي البهيِّ
سأبدأ شمسي !

بدأ المهرجانْ
وجدارُ الأمان غرقْ
وكتابُ الرهان احترقْ

-٨-

على الجانبين اصطففنا
التصقنا. اتسقنا.

انصهرنا.امتزجنا
وصارت لنا لغةٌ واحدةْ
وترنيمةٌ واحدةْ :
مضى ما مضى ،
وانقضى ما انقضى
وهنادي الرضا
وانشراحُ الفضا بالقضا
*

على الجانبين اصطففنا
والسنابل جاءت قوافلَ بعد قوافلْ
وسور المدينة لبى
ولبت أيائلْ
والنجوم نساءٌ على الأرض تمشي
وحناؤها شرفاتُ المنازلْ

-٩-

تقول الرياحْ
رياحٌ أتت من جنوب الحجازْ :
كل العواصم بعدكِ
قافلةٌ ، وصدىً ، واهتزازْ
وأنت اتساقُ نشيد البلابل والقبراتْ
وأنت حلولُ الأجنةِ في الأمهاتْ
وبعدك كل نشيدٍ
وكل حلولٍ نشازْ

*

تقول رياح الحجازْ
املئي صمتَ هذا الفضاء جنونا
واملئيه عيوناً مفتحةً
وغصونا
فأنت الحقيقي أنتِ
وأنت المجازْ

-١٠-

أكتبي ياهنادي الوصايا

للبنات الصبايا

للنساء السبايا

وزهادنا في الزوايا

*

اكتبي ياهنادي الوصايا

وانثريها كتاباً بلا ورق أو مطايا

لمن يقدمون إلينا عطاشاً

ومن يرحلون بعيداً عرايا

-١١-

هنادي هنا ،

وهنادي هناكْ

قلعةٌ للمدينةْ

وزيتونةٌ في البوادي

*

هنادي هديلُ الغيوم على النخلة السامقةْ
وحمام اللهبْ
تعيد لآدم حواءه العاشقةْ
وجنته الضائعةْ
على طبقٍ من ذهبْ

-١٢-

هنادي تحدق في أمسها
وتحدق في غدها
وتصغي إلى صمتها
حبيبي : عساك بخير . عساكْ ؟
حبيبي ، أخي : سأراكْ
غداً سأراكْ
فخذنيَ بين يديكْ
يراعاً ، وترساً ، وشمساً ، وشبّابةً ، وسِواكْ
وشدَّ الوشائج بيني وبين الشجرْ
*

أخي وحبيبي :
شظايا تناثرتَ .
كيف ألملم هذا الغبارْ ؟
وكيف أقبل ذراته ،
وأضيء النهارْ ؟
إذن ، سأقضّي سنيني احتضارْ
*

حبيبي
أخي : سأجيء إليكْ
إليك أجيء غباراً
كما رحت عني غبارْ
غباري يعانق فيك الغبارْ
نهاري يعانق فيك النهارْ
*

حبيبي
أخي : قصفوك ، ودوّى انفجارْ

وهذا انفجاري بهم يا حبيبي
إليك اعتذارْ
عن اللحظة الخالدةْ

-١٣-

في الشهيق الأخيرْ
إقْـمَطَـرَّ القمرْ
مودعاً سرَّه في الحجرْ
وقنديله في المطرْ
*
في الزفير الأخيرْ
سمعت خريرَ الصخورْ
من الجذر حتى الغصونْ
ورأيت الطيورْ
تطير من الغصن حتى الجذورْ
*

في الهدير الأخيرْ
جلس الراويةْ
والشعرُ والشعراءُ على الأرصفةْ
والكراسي النصوصْ
ومدوا الأيادي إلى السابلةْ
ومر لصوصْ
وقناصةٌ حانقينْ
*
في الدوي الأخيرْ
هجاني الحطيئةُ في صفحة الماءِ ،
والسهروردي
فأعدت الصورْ
لليلى ، وولادة ، وبثينةْ
وارتديت الشجَرْ
وحملت النهرْ
إلى القيروانْ
*

بآخر دقةِ قلبْ

وآخر قطرة دمْ

وضعت خطوطيَ تحت السطورْ

وطويت الكتابْ

أنا والنسورْ

ورأينا الملاكْ

جبلاً من شررْ

قال : عدْ يا فتى للثرى

واقفُ رسمَ الأثرْ

إن أردت العبورْ

اكتبْ يا زمن الثورة ، يا زمن الإيمانْ
اكتبْ فوق الجدران وفوق الأغصانْ
واكتبْ فوق مدائننا الكبرى والصغرى
واكتبْ فوق مآذننا
واصدحْ
ما تسمع – لو صُمّت – كل الآذانْ :
لهنادي أجنحةٌ لا تحصى
ولجعفر إثنانْ



الصدى/ العنوان

اكتبْ يا زمن الثورة ، يا زمن الإيمانْ
في تيه الصحراءِ
وفي أروقة الوجدانْ
أكتبْ بصهيل الخيلِ
وأوتار النخل وأسماء الليلِ
على فوهة البركانْ :
سفر هنادي
لقصائدنا العنوانْ

إلى زنجبار

لَغَمٌ في الطريق إلى زنجبارْ
وتحت الهلال لغمْ
*
وصلت إلى المنتصفْ
بين لا ونعمْ
وثار الغبارْ
والوقوفُ على الجسر صار انتظارْ
والمقاهي احتضارْ
*
ولم يكن القلبُ لوحَ خزفْ
ولا قبساً من نهارْ
فإما يكون الغدُ

قطارَ القدمْ
وإما يكون انفجارْ
*
قلت : سرْ يا غرابْ
إلى زنجبارْ
ودعْ للحسور الندمْ
وعدْ أيها الهدهدُ
إلى جنةٍ من عدمْ

عالمي

جسدٌ ليس فيه خوارْ
ولا يحجب الليلَ عنه ستارْ
و لم يبقَ فيه سرارْ
فمن بعلبك ، ويافا ، وصيدا ، وصورْ
إلى قندهارْ
ومن سبرنتسا إلى تورَبورْ
بلاد تُفتت فيها الجذورْ
وتلقى البذور بجوف الصخورْ



لصورة سلمى

دعني .
دعني ياولدي
أخرجْ
أغلق خلفك نافذتي ،
والبابْ

أدخلْ .
أدخلْ يا ولدي
ناولني القهوةَ .
ما الأخبارْ ؟
سلمى في السوق بدينارْ !

كفنٌ بين الأكفانْ
يتصاعد منه دخانْ
يمشي للمذبح قربانْ
سلمى في القصر غريبةْ

وأنا قدمٌ بين الأقدامْ
كرةٌ من كتانْ
في جورِها يختبئ الطوفانْ
سلمى عاريةٌ بين يديّ السلطانْ
وأنا عارٍ بين الأشجارْ
- بيعوها في السوقْ
في السوق بدينارْ
وأنا سأبيع المسروقْ
ذهبي المسروقَ بدينارْ

ولدي يدخل أحداقي
ويحرّق أوراقي
ولدي يُـخْلي الدارْ
جسدي تسّاقط منه الأشعارْ
جسدي للروح قطارْ
وثلاثتنا ؛ شمعات مزارْ
تنتظر النارْ
ولصورة سلمى جُدُرٌ وإطارْ

أحوال الجسد

جسدي مبحوحْ
يطّوّف بالكعبةْ
مكسورَ الركبةْ
مقطوعَ الرقبةْ

جسدي أوراق كتابْ
في أيدي الطلبةْ
جسدي منصوبْ
رمحاً فوق الخشبةْ

جسدي ناداني :
يا قلبي المتبولْ
ذاك الإبريقْ

إن تكسرْ ذاك الإبريقْ
ينفجر الفينيقْ
وإلى كابولْ
سيعود جنود الإغريقْ

في صلب الأبْ
في رحم الأمْ
قال جنينْ :
بعد ليالٍ سأجيءْ
سأكون نبيْ
وليكن الصلبْ...

لعب الأطفالْ

صنوانْ
أنا وابن الجارة صنوانْ
وابن الجارةِ نادانْ :
هيا .
هيا يا عدنانْ
جاء العصر ، سنلعب لعبتنا
- أنا دوما أتبع أمركْ
كيف سنلعبُ ؟
- أنت الأعمى ،
وأنا السوبرمانْ
-في البدء ، سأحلق شعري ،
وستحلق شعركْ
وسأخلع ثوبي ، وستخلع ثوبكْ

- إنا نتأمرْكْ

- وستتبعنا الحارةْ

قلت : معاذ اللهْ .

ووقاها ، ووقاني شرّكْ

قال الراوي

قال الراوي :
كان الحاوي
يخرج من فيه خراتيتْ
وعباءاتِ طواغيتْ

بعقوبة تقولْ

على الأبِ الإبنُ المسمى باسمه
يبولْ
ما قلتُ .
بل بعقوبةٌ تقولْ :
على الأب الإبن المسمى باسمه
يبولْ

الشرك

وقعتَ في الشركْ
أنت ، ومن معي
ومن معكْ
والنخل في السماء يصطاد السمكْ

في يثرب

في يثرب المدينةْ
أصبحت المقولةْ
عمى طفولةْ
وسالت الخزينةْ
على الحقول كالسيولْ
وأصبح الهلال غولْ

هبوط

هبطنا
ونعرف أسماءنا ، وخطانا
ولنا جدولٌ يتدثر همسَ الغسقْ
وقابيلُ يجهل أن السيوفْ
قد تكون بسلته عنباً وقمرْ
وهابيلُ كان يرى في الحجرْ
صورتَــه
والغراب يحاول محوَ الأثرْ

هبطنا لنكسو التراب الحللْ
ونزرع في النجم جمرَ الأملْ
ونعيد لزيتونة الأرض أسرارَها
وتضيء الفضاءَ القصيَّ القبلْ

هبطنا
لنعرف سرّ العلو ، وسر الهبوطْ
إذا إنتشر الأخطبوطْ
في الأغاني ومد الخيوطْ
وصار القنوط الحنوطْ

أحرف الإسم

أوزع أحرف إسمي على الكائناتْ
أباركها بالحروفِ
أباركها بالنشيدْ

العيُن للدمعِ في عربات السعادةِ
للشمع تحت الجليدْ
وياءٌ لطفلٍ على المنحنى
بيديه يلوح لي :
يا أبي ، أدنُ مني ، فإني شهيدْ
وسينٌ ؛ عبورٌ لما سوف يأتي به المستحيل العتيدْ
وآخر حرفٍ لنجمٍ بعيدْ
وصرحٍ مشيدْ
يضيئان . ينطفئانِ

ويختلفانِ ويتفقانِ
على صورةٍ في القصيدْ

أحرف الإسم صارت شجرْ
ومدت سلالم نحو القمرْ
وأنا في الربيعْ
بلا جدولٍ أو ثمرْ
أتمنى الرجوعْ
أتمنى الهجوعْ
على نخلةٍ أو حجرْ

ها هي الشمس تجلس في البحرِ
تنضو اللثامْ
وذو النون ، في البحر ، في الحوت ، في بطنه
يتشبث بالكلماتِ
ويقطينة مهّدت مهده ،

ظللته بريش الحمامْ
ها هي الشمس تقفز حوريةً بثياب الزفافِ
ويلتقط النهرُ أنفاسه
ويزور الطبيبَ المريضَ
ويلقي السلامَ
على ما يرى ، وعلى ما أرى
ويشيح بأشجاره عن ظلال الصنمْ
صنمٍ في الحديقةْ
أقام هنا منذ كان العدمْ
سيداً للحقيقةْ

تهيأت منذ الهزيع الأخيرِ
ومر الغطاطْ
والشمس تلقي جواهرها في الترابْ
تلفتُّ حولي . انبهرت . انقشعتُ.
اكتشفت على الصدر آثارَ إسمي القديم

تسربلت باسمي
توكأت ، حتى انكفأتُ عليه
وقارئة البخت – مذعورةً – هرولتْ
تركت لي عكاكيزها والقدمْ
وطرنا معا زبداً في السديمْ

هاهي الكائناتُ
تعيد إليّ الحروفَ
تباركني بالحروف ، وبالكلماتِ

أحرف الإسم أرضُ الجذورْ
وجناح الطيورْ
تمسهس للموعد المنتظرْ

أشجار

-١-

كل صباحٍ يأتيني الديكْ
يسكب في أذني حمرةْ
فيغيب صعاليكْ
في ورق الشجرةْ

-٢-

فوق الشجرةْ
أعشاش الطيرْ
وامرأةٌ صعدتْ
رمت البيضَ
ولما وطئت قدماها الأرضْ
مُسخت حشرةْ

-٣-

أشجاري سامقةٌ
وأحب الصفصافةْ
ساعات الظهرْ
أتوسد ظل الشجرةْ
ألصق أذني بالتربةْ
أسمع صلصلة الجذرْ
وهو يشق الصخرْ

-٤-

أشجاري
تعرف صوتي وحنيني
وأبث إليها أشواقي وأنيني
أتصفح في الظل كتابْ
فإذا بالدمعةْ
تسقط فوق جبيني

أمسحها بالمنديلْ
فإذا بالدمعةْ
تخذت لونَ الدمْ
أبصر فيها قربانَ الحبْ
يغمض عينيهْ
ويشير إليّ
ويسقط في الجبْ

-٥-

العالم منضودْ
بين يديك كتاباً ، وكنوزاً ، ونقودْ
عُدّ غنيمتك الكبرى
عدّ الغائبَ
عدّ المشهودْ
قد أخطأتَ العدّ ، وما أخطأك المعدودْ :
أشجار الغابة آتيةٌ ؛
سفوداً يتبع سفودْ

في رمضان

١- الليل

في رمضانْ
ليلي طفلٌ –
في حضني يتمددْ
يمسح شعري .
أمسح شعرهْ
أغفو . يغفو
يسجد لله . وأسجدْ

٢- دود

مائدة السلطان مهيأةٌ
والغيم طحينْ

وجبال الأرض قدورٌ وصحونْ
مائدة السلطان مهيأةٌ
وجلود الفقراء تفيض عناقيدْ
ودموع الفتيات سحاجيدْ
وحسام الدينْ
شيخٌ في التسعينْ
أمضى من حد السكينْ
في مسجد عمر بن الخطابِ
الممتدِ من الفسطاط إلى شعفاطْ
تحملُ كفاه الأمعاءْ
وينادي :
مائدة السلطانْ
دودٌ محشوٌ بالدودْ
والماءُ عصيرُ الدودْ

٣- شهر صيام

شهرُ صيام رمضانْ
أنزل فيه القرآنْ
مائدة الإفطارْ
لحم الأطيارْ
والماء جرارٌ من زمزمْ
*
مائدة الإفطارْ
لحمك يا إيمانْ
يا حلم الزهرةْ
والحلوى ، والماءُ صراخُ محمدٍ بْنُ الدرةْ

٤- شكل التمرة

رمضان شهر الإستغفارْ
وأنا حين أخيط ثيابي
في لحمي تنغرس الإبرةْ
وأنا – أيضاً – لا أعرف شكل التمرةْ

وأخي تــمّارْ
وكبير التجارْ

٥- في رمضان

علقت دماء الأطفالْ
أصناماً ومنارْ
فوق الدارْ
وجعلت الأستارْ
ورقاً للأشعارْ
في رمضانْ

٦- كن أقوى

يا دوداً يسكن في أعماقي
في الزمن الماضي .

في الزمن الباقي
يا دوداً يأكل بعضاً من أرزاقي
كن أحلى
كن أبهى
كن أقوى
من ذل الشهوة والحلوى

٧- المريض

في سنة المجاعة العشرينْ
أصبت بالطاعون والرمدْ
وكان شهر الصوم يملأُ البلدْ
بعطره والياسمينْ
وكان إسماعيلْ
طبيب قريتي الوحيدْ
قالوا : به سنستعينْ
كي ينقذ الولدْ
*

طبيبنا في درجه سكينْ
في جيبه لفائف بيضاءْ
طبيبنا
أجلسني على سريره العريضْ
وأشعل اللفافةْ
فقلت في لطافةْ :
يا سادتي
طبيب قريتي مريضْ

سؤال

سألت ساعة الفراقْ
سألت ساعة اللقاءْ :
ما الروح ، ما الدموع ، ما الجسدْ ؟
وجاءني البراقْ
ومد يدْ
وضمني
لكنني ارتعدت ، وارتعدْ
وسل من يدي يديه ، وابتعدْ

تحالف

ياجوج ، والهكسوس ، والفراعنةْ
تحالفوا مع المغولْ
ودخلوا بيروت ، واسطنبولْ
ومسجدَ الخليفة المأمونْ
رأيت في أيديهمُ مآذنةْ
رأيتها أبواقْ

وجدت الريح

نظرتْ عيني أعواماً .
أعوامْ
غارت تحت الحاجب والأهدابْ
العين حروفٌ نقشت فوق الأخشابْ
والجسد مسجىً
كالمعنى في صفحاتٍ بيضاءْ
ووجدت الريحْ
ريحَك أيتها النجمةْ
فاتسقت لغتي ،
واجتمعت في كلمةْ

صافحت كليم الله

اللیلةَ صافحت كليم اللهِ
فهزهز رأسي واللحيةْ
وعلاني بعصاهْ
فانفجرت مني عينٌ
سال الماءُ ،
وغطى الصحراءَ
و لم أجمعْ لصغاري العطشى
كأسْ

في تلك الخيمة

بدم الصحراء تضرجْ
وتضرجت بصرخته
سقط حصاني ،
وسقطتْ
مُنْبتٌ شبحي
وشبيهي منبتْ

صيواناً نصبت حولي الظلمةْ
وضمادي ، والماء ، وزادي
في أقصى الأرضْ
في تلك الخيمةْ

صلاة

قبل بزوغ الشمسِ
اختبأتْ روحي في الكأسِ
وصاح الديكُ
توضأتُ
تهجيت القبلةْ
واستقبلت وكبرتُ
ففحَّ الثعبانْ
وعلى رأسي سقطت نخلةْ

من خلف الأقمار

عيني
أطلقت الأطيارْ
ويدي
نفضت عنها الأزهارْ
ناداني صوتْ
من خلف الأقمارْ
من آخر بيتْ
في جزر الموتْ
وأزحت السقفَ عن البيتْ
بيدي .
وعن الأفق الغيمةْ
وتلفّتْ
أستكشف ذاك الصوتَ
القادمَ من آخر بيتْ
في جزر الموتْ



أنى أبصر

الجبل انهدْ
والبصر انهدْ
والنار إلى تحتي وثيابي تمتدْ
أنى أبصر ما ليس له حدْ ؟

في كفك

- في كفك سكينْ
لا حجرٌ ، لا ماسٌ ، لا يقطينْ
كان البيت مشاعاً
للريح وللأقمارِ . فمن أرداني ؟
ونشيدي الأولَ والثاني —
أوطاني
[من بغداد إلى مصرَ فتطوانِ]
- في كفك عشرُ حماماتٍ بيضاءَ
وسيفكَ ممشوق الرعدِ كقافية الشعرِ
وأنت وحيدٌ وغريبْ
إن شئت البسْ
إن شئت اخلعْ
ما ينسجه النحويونْ
- لم تهجرني — بعدُ — خيول الماءِ ولا الحمى

– الآن غريبٌ أنتَ ، وكلبكَ

يعرف نبضَ حجارِكَ

– من يملأ مصباحَك بالهذيانِ ؟

– ليلٌ لم تقرأه ولا يحفظ عنوانك أو عنواني

ليلٌ فيه تطير الأقدامْ

ويشيب العشبُ من الأوهامْ

– أنا لا تطفئني الطينْ

– وأنا لست بمفتونْ

بسفين أو بمجداف سفينْ

– من أرداكْ ؟

– من أرداكْ !

– أنتْ ؟

– أنتْ!

لـــم يـبـق

قال : خذوا الليل ستارْ
وتسلل عنه الفرسان الثوارْ
لم يبق سوى ظمأ الأنهارْ
وسيوفِ المحنةْ
تحمله في كفنٍ من نارْ

مـيـثـاق

في يدك الخاتم ، في يدك الوشمْ
فانظرْ للغيمْ
تنهل كاسات السمْ
كي تمطر لهباً في عش صغاركَ

في إستشراف الروحِ ،
وفي رعشات الجسمْ
هل توقن أن الطلقةَ والسهمْ
ستوقع ميثاق السلمْ
بين القتلى والجندْ ؟

الجنازة الأخيرة

تَعَبُ القوافي واللغةْ
تعب الشواطئ والجزيرةْ
تعب الرماح من الدماءْ
تعب الدماء من الرماحْ
في جيد ليلى كالأقاحْ
ومع الصباحْ
مرت جنازته الأخيرةْ
الوردُ يحملها
وتحملها القصيدةُ ، والطفولةُ ، والرياحْ

زيارات قارون

كل صباح يأتيني قارونْ
ويوشوشني:
يا ولدي ،
أنا شيخٌ موتورْ

يأتيني قارونْ
يفتح أبوابَ خزائنه
ويبوح بسر العلم المكنونْ

كل مساء يأتيني قارونْ
يسألني كسرةَ طابونْ
أو قبساً من نورْ
يأتيني قارونْ

في الليل بلا شمعةْ
يمسح عن خديَّ الدمعةْ
يحقن في جسدي الطاعونْ
ويغادرني ذئباً مسعورْ

يأتيني قارونْ
عند الظهرْ
ويناديني من خلف السورْ :
أخرجْ من بيتي يا مسرورْ
من داري ، وابحثْ عن دارٍ لك بين الدورْ
أنظرْ هذا العقدُ
وهذا توقيعك ممهورْ
والشاهد كسرى والإمبراطورْ
وأبو عبد الله الناطورْ

بــنــتي

-١-

من نسب إلى هامانَ الفتحْ ؟
من سرق الثلجَ عن السطحْ ؟
من أرشد فئرانَ الأرضِ
إلى صومعةِ القمحْ؟
من أدخل سالومةَ في الصرحْ ؟
من جعل القسمةَ كالطرحْ ؟

بنيّ تتنهدْ
والدمعة كالفرقدْ
فوق الخدْ

-٢-

في أرض الهندْ

تنمو أشجار الهالِ ،

وأشجارُ السماق بلا حدْ

في الصينْ

الحكمة ملعقة الأطفالْ

وتماثيلُ من الصلصالْ

تملأ كل الساحاتْ

وأنا جسدي جنات الأريافْ

والأرض سريري

وسمائي لحافْ

إذ تصدح بنتي " إيلافْ " :

بابا ...بابا

فوق منابر روحي

أحيانا

أحياناً ...أحيانْ
يرتجّ المصباحْ
في قلبي ، ويصير الشريانْ
أنبوبَ دخانْ
وتحمحم فيه الطينْ
بشفاه الثعبانْ
أحياناً ... أحيانْ

من غير الحب

ظمآنْ
ظمآنٌ منذ ثلاثْ
ولظىً ، وهجيرٌ ، ولهاثْ
دقّ بجسمي الموبوء مساميرْ
وبحارُ الأرض بقبعتي
وفمي مسدودْ
هذا — مولايَ — أنا من غير الحبْ

شبّ حريقٌ في المنـــزلْ
واحترقت أردانُ الثوبْ
والمالك أعمى
وأنا أسّاقط من قلقي

ملحاً فوق التنورْ
هذا — مولايَ — أنا من غير الحبْ

عذراءٌ للبلد أميرةْ
عيناها خضراوانْ
والوجه مضيءْ
نزعت عنها الأثوابْ
نزلت في الساحاتْ
ترقص ، وتقيئْ
وتدوي في الجنباتْ
آهات في الضحكاتْ
هذا — مولايَ — أنا من غير الحبْ

الشمس تغيبْ
باردةً كالثلجْ

والبحر جليدْ

ذبح الموجْ

وأنا في العمقْ

صندوقُ بريدْ

ينتظر الحرقْ

هذا – مولايَ – أنا من غير الحبْ



إقبلني خداماً

يا من يكسو في الرحم عظامي
لحماً
ويهيئ مائي وطعامي
أنفخْ نفخةَ طيبٍ في أنغامي
واقبلني في محرابكَ
خداماً للخدامِ
يا من تكسو في الرحم عظامي .

قصائدنا

حَبَلٌ في اليوم الأول أُجهضْ
وسروجٌ من غير خيولْ
تهفو للركض ، ولا تنهضْ
تلك قصائدنا في المعرضْ

قفصٌ للثعلب والأرنبْ
فوق حمارٍ أجربْ
للسوق غداً تُجلبْ

قبضاتٌ من طينٍ أسودْ
في أيدي صبيةْ
خرجوا للتو من المعبدْ
لطخوها فوق جدارٍ أسودْ
تلك قصائدنا

شبحٌ يتجول في الظلمةْ
من غير فوانيسْ
يسعل إبراً ودبابيسْ

ليت قصائدنا
كرةٌ في الملعبْ
تضربها الأقدام ، ولا تَضْربْ
ليت قصائدنا ثورٌ أندلسيٌّ
في الساحة يُطْعن أو يُحلبْ
ليت قصائدنا
فستانُ السهرةِ والمشجبْ

لو كانت نملَ سليمانْ
لو كانت في حيرة قابيل الغربانْ
لو كانت خبرَ الهدهدْ
فالغيمة ، والشمسُ لها تسجدْ

كالجذر يغور إلى الأعماقْ
كالدمعة في الأحداقْ
كوني واضحةً
كوني ساريةَ الميزانْ
كوني في الإنسان الإيمانْ



من يصلح للعرض ؟

يا سادةْ
يا سادةَ هذي الأرضْ
من يصلح للعرضْ ؟
قمرُ ربيعٍ فوق النخلةْ
النور به غيضٌ من فيضْ
أم طاووسُ حديقةْ
ينفض ريش جناحيه قبولاً
والرأس يزمجر بالرفضْ ؟

لو أعلم

لو أعلم للجسد نعيمْ
لو أبصر للرقص سماءْ
لقذفت الروح إلى السعلاةْ
ونبذت عهودَ الربيينْ
وجريت كجري الهيمْ
وتركت ورائي الماءْ
وعيونَ الخلد بعليينْ

على المنجنيق

نبوخَذُ نصَّرْ
وكسرى وقيصرْ
وجينْكيزُخان وهتلرْ
لقد دخلوا في المدينةْ
على المنجنيقْ
وفر الحرسْ
وشبّ الحريقْ
بذيل الفرسْ
وأصاب الغصونَ الخرسْ

بغداد

بغدادُ
سيعود — غداً — لمدارسكِ التعليمْ
ويغور الماء بأرضك والزادُ
وبغيم التعتيمْ
تبيضّ الأشعارْ
ويكون مزارْ
للشيعة والسنةْ
في طمي الأنهارْ

بغدادُ
يا من قتلوا ، يا من سادوا
سيجيء إليك — وجاء الروادُ
والرايةُ :

من يخرق هذا التعميمْ
إرهابيٌّ وزنيمْ
موسوم الخرطومْ

بيعوا القصائد

لم يبقَ في جسدي
والفضاء المعلقِ
فوق الزجاجة غيرُ خليةْ
تقول لأحفادها القادمينْ
بيعوا القصائد ،
والنفطَ في الصيدليةْ

ذكرى

أكل – بمصر – الناسَ من الجوع الفولْ
وانتهت الضجةْ
وأنا ما عدت كمنجةْ
بين يديه ولا أرغولْ

ألق قميصك

وحزتكَ الشوكةْ
وصرختَ ، وجاءتك الأصنام معزيةً
من كل الأمصارْ
تحمل أعينها رمل الصحراءْ
وعلى الأكتاف جبالا

جاءت ركباناً ورجالا

سقطت في جبكَ ،

فالقِ قميصَك كي يرتد الإبصارْ



في ليلة الزفاف

في الليلة البيضاءْ
تكلم الهواء في المساءْ
وزغرد الحجرْ
وقالت العروس للعريسْ :
سريرك الوثير رأس رمحي

الليل والقمرْ
والعمر والغيوم كالضجرْ
توزع المطرْ
على الحقولْ
تعال واترك الدررْ
فالسقف فوق جبهتي

يكاد أن يطير أو ينهارْ
وشمعةٌ تموجْ
وصخرةٌ سوداءْ
أنا على الثلوجْ
بلحيةٍ بيضاءْ
بعينكَ العمياءْ
بسمعكَ الثقيلْ
لطفلنا الصغيرْ
لجدنا الضريرْ
للشرشف الحريرْ
لحره والزمهريرْ
تعال لي
فالشمس في كأسي تكاد تنفجرْ
وصورتي على الجدار تجهل المصيرْ
تعال لي . ولن أقول لكْ
ما قلته في ليلة الزفافْ

تعال إنني بشرْ
قد اعترفت بالخطيئةْ
فمدّ لي يداً جريئةْ
تعال ، واقلعْ ، وازرع الشجرْ
في جسدي ، في خصري النحيلْ

عشرون عاماً أنتظرْ
في النار أنتظرْ
عشرين ديواناً كتبتْ
وأنت – سيدي ، وأنتْ
بالصمت تكتب السفرْ

لا تقرأ الأشعارْ
لا تثبت المسمار في الجدارْ
فالوجه غطاه البرصْ
والروح جرةٌ من الخدرْ
مليئةٌ شررْ

تعال لي . هذا ندائيَ الأخيرْ
غداً سأوقظ المدينةْ
وأنزع الثيابْ
تعال لي ، فقهوة الصباح لم تزلْ
و لم أزلْ عذراءْ

هذا أنا يا سيدي بين يديكْ
على سنان رمحيَ ارتميتْ
جئت كما عني رحلتْ
بناريَ التي اكتويتْ
أنا اكتويتْ
ودربك اقتفيت ، والأثرْ

فـي الـعيد

في العيدْ
عانقني ولدي الأصغرْ
- يا أبتاه جاء العيدْ
وأريد حذاءً وقميصْ
ولدي :
أنت الغالي ،
والسوق رخيصْ

واحتد المشهدْ
والدمع على العينين تمردْ
- أبتاه !!
- ولدي :

قد نشهد هذا العيدَ ،
وقد لا نشهدْ

عيدٌ ، والجمع الأعيادْ
هولاكو في بغدادْ
ينصب خيمته
ويصارخ حاجبه :
لا توجد في الجعبة أوتادْ ؟

عيدٌ . والطيارةْ
تمطر لبناً ، وقصائد عصماءْ
فوق الحارةْ
والحارةْ
تتفرشحُ
تسقطُ
تغرق منهارةْ
في لبن البقرات الطيارةْ

جمع العيد الأعيادْ
والعالم فانوس زجاجْ
مربوطُ في رقبةِ مجنونٍ سكرانْ
العقرب يلسعه ،
ويطارده الثعبانْ

نورٌ وعصافيرٌ في العيدْ
في صمت الأطفال الرضعْ
في صبر الأجداد الجوعْ
نارٌ في العيدْ
نارٌ في حبر وأوراق التلمودْ
أحرقت البيدرَ والمصنعْ

عيدٌ أيتها البلقاءْ
في سرجك لهرا حزنْ
والرايةُ ، والقلعةُ ، والروضةُ سجنْ
والرحلةُ بيدٌ بعد البيدْ

يا فرس المتنبي .
أيتها البلقاءْ
ارمي سرجك ، وابتهجي في العيدْ
ودعي المتنبي في السجنِ
يعيش طريداً ،
ويموت شهيدْ

الفهرس

